

كيف أُجيب عن أسئلة طفلي وأحاوره

ميسر للآباء والأمهات

أ.د. سلوى مرتضى







منشورات وزارة الثقافة ج.ع.س دمشق ٢٠٠٨

كيف أجيب
عن أسئلة طفلي وأحاوره

كيف أجيب عن أسئلة طفلي وأحاوره

أ. د. سلوى مرتضى

منشورات وزارة الثقافة – مديرية ثقافة الطفل

في الجمهورية العربية السورية - دمشق ٢٠٠٨

مقدمة

تتضارب وجهات النظر بين الدول والشعوب، ويلجأ الكثير للعنف أسلوباً في حلِّ خلافاتهم، إلاَّ أنَّهم يجدون أنفسهم مضطرين في نهاية المطاف للجلوس على طاولة الحوار، فقد غدا الحوار في هذا العصر وسيلة للتفاهم بين الدول أو بين الشعوب، إلاَّ أنَّ الحوار بينهم لا يهدف إلى إعادة الحقوق إلى أصحابها ورفع الأذى عن المظلوم بل يهدف إلى تحقيق المصالح وإرضاء النزوات المتبادلة، وبهذا يختلف مفهوم الحوار السياسي عن أشكال الحوار كلها. وأول حوار يخطر على البال الحوار الرباني الذي يخاطب فيه الله سبحانه وتعالى عباده، يأمرهم وينهاهم ويهديهم ويرشدهم. وقد أراد الله لهم أسلوب الحوار ليشعرهم بمكانتهم عند ربهم، وليستخدموا نعمة العقل والتمييز بين الخير والشر. ويحذرهم من الشر والباطل. وهو أسلوب تربوي قوي التأثير وعميق الآثار.

وبهذا نرى أنَّ الحوار أسلوب من أساليب التربية قديم وجديد في الوقت نفسه راق بدأ به رب العالمين فحاور الملائكة وعلَّمهم ووجههم وألزمهم الحجة.

ونحن بني البشر أليس من الأجدر بنا أن نستخدمه في تربية أبنائنا لننمي عقولهم، ونوجّه تفكيرهم، ونشبع حب الاستطلاع لديهم. أليس الحوار أسلوباً شائقاً في تعليم أبنائنا السلوك السوي بطريقة راقية؟.

إنّ ما يحمله هذا الكتاب في طياته يساعد الآباء والأمهات على استخدام أسلوب الحوار في تربية أطفالهم، فالتعليم بأشكاله كلها يصبح أكثر متعة إذا اعتمد الحوار أسلوباً تربوياً. ومعناه أن نعلِّم الطفل ما نريده عن طريق التجاوب معه، بحيث نجيبه عن أسئلته، وغالباً ما تكون إجابتنا له مفتاحاً لسؤال جديد مصدره الطفل، فيصل إلى المعلومات دون عناء كبير، ودون أن يشعر أنَّها مفروضة عليه، ودون أن يجد صعوبة في استيعابها وتمثلها. فكيف لا نستخدمه نحن بني البشر وقد سبقنا القرآن الكريم والسنة النبوية إلى هذا الأسلوب لهداية البشر؟! والأمثلة في القرآن الكريم على الحوار الرباني كثيرة جداً نورد منها على سبيل المثال: ﴿ **قُل من يرزقكم من السماء والأرض ❖ أمَّن يملك السمعَ والأبصار ❖ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، ومن يدبِّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** ﴾ (يونس /٣١).

وهذا الحوار القرآني توصل أن يحكي لنا إقرار المشركين بصفات الله الرازق المحيي المميت المدبر للكون.

والأمثلة من السنة النبوية الشريفة على الحوار كثيرة أيضاً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: يا رسول الله من أحقُّ الناس بحسن صحابتي؟ قال: " أمُّكَ " قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أمُّكَ» قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «أمُّكَ» قال: ثمَّ مَنْ ؟ قال: «أبوكَ»** متفقٌ عليه (رياض الصالحين / ١٦٠).

وعندما نتحدث عن الحوار فإنَّه أول ما يتبادر للأذهان الحوار الداخلي، وهذا أدَّى إلى نشوء علم نفس الحوار الإنساني، وهو أحد فروع علم نفس الاتصال. والحوار يمرُّ بمراحل عديدة، وله عوامل أساسية تقوم بتوجيهه، منها:

الحوار الداخلي: وهو الذي يحدد سلوك الإنسان، وبالتالي يحدد أساليب ووسائل الاتصال بالآخرين والحوار معهم، وفيه يتوجب على المُرسل أن يتخيل ردود فعل مستقبلية ودرجة تقبلهم لرسالته. وهذا ما يعطي للحوار الداخلي أهمية فائقة في عملية الاتصال الأحادي الجانب، وهكذا فإنَّ المتصل مُحاوِراً كان أم محَاوَراً يجري حواراً داخلياً مع ذاته، محاولاً من خلاله تخيل الأسئلة التي يمكن للمستقبل أن يطرحها، كما يحاول انتقاء الأجوبة الأكثر ملاءمةً وإقناعاً لهذه الأسئلة والأسئلة الأخرى المطروحة من قبل الذين يتصل معهم. إذاً فالحوار الداخلي حوار وهمي يقيمه الشخص بينه وبين نفسه (أحياناً بصوت عالٍ أو بالكتابة) متخيلاً وجود الآخرين ومحاولاً تقويم ردود أفعالهم.

فالطفل عندما يقع في مشكلة ما يحاول أن يتخيل ردود أفعال الآخرين تجاهه، ودرجة تقبلهم هذا السلوك، ويحاول أن ينتقي أجوبة أكثر ملاءمة وإقناعاً، وأحياناً يتحدث بصوت عالٍ وكأنه يتحدث مع شخص آخر مربٍ (أم، أب، معلم) أو صديق في اللعب.

ونورد فيما يلي مثالاً حياً عن طفلة تحاور نفسها حواراً داخلياً، وكأنَّها تتحدث مع شخص آخر يتحدث معها هي أمها، وقد جسَّدت هذا الحوار برسالة أرسلتها لوالدتها تقول فيها:

أمي ... أريد فسحة من وقتك....

أمي أريد أن أتحاور معك....

أريد أن أجد إجابات لتساؤلات عدة .... تملأ عقلي الصغير

عندما أنام يا أمي أحلم بمن يحدثني .... أحلم بمن يجيب عن تساؤلاتي ولا أجد....

أنت مشغولة عني يا أمي .... مشغولة مشغولة وأنا أعيش وحيدة.

عندما لا تكون في صدرك فسحة من التسامح وتغضبين وتثورين لأنك مرهقة من العمل أشعر أنني غريبة.

عندما تكون العلاقة بيني وبينك أوامر لا حوارا ولا حديث فإنني أبتعد عنك كثيراً يا أمي ....

أبتعد عنك طفلة .... وأبتعد عنك مراهقة .... وأكبر وحدي بظنوني، وآلامي ومخاوفي وفرحي .... ويأتي يوم من الأيام وتبحثين عن تلك الفتاة الصغيرة، فتجدينها بعيدة جداً .... تبحث عمن من يؤنسها، بعيداً عنك....

لا أريد الكثير من وقتك يا أمي فسحة صغيرة لأحكي لك عن مدرستي.... رفيقاتي .... لأجد إجابات عن أسئلتي

أمي .... لا أريد خبزاً لكي أحيا .... وجدراناً .... ولا أثاثاً منزلياً أريد عطفاً وحناناً .... أريد اهتماماً .... أريد لمسة حنان

أريد الجلوس في حضنك أريد أن أسمع صوتك ....

لا ألومك يا أمي لا ألوم عصر السرعة الذي أخذ منا أمهاتنا وتركنا وحدنا نفتش عن إجابات لأسئلتنا البريئة....

والله ولي التوفيق

دمشق في ٢٠٠٦/٨/١٥

المؤلفـــة

أ. د. سلوى مرتضى

الفصل الأول

الحوار مع الطفل

أولاً - مقدمة :

يقوم أسلوب الحوار على الطريقة التي تبناها سقراط في تعليم التفكير لطلابه، ويفترض بعضهم أنَّه لا يوجد تعليم، وإنَّما يمارس الطلبة عملية التذكر فقط. ويفترضون كذلك أنَّ هذه الطريقة تتضمن أسئلة يطرحها المعلم على طلابه.

وبذلك يمكننا القول أن الحوار مع الأطفال يدفعهم لأن يفكروا ويتذكروا، ولقد عارض سقراط السوفسطائيين شكلاً ومضموناً، إذ عاب عليهم تبجحهم، ورفضهم للقيم الاجتماعية، والفضيلة، والأخلاق العامة،و ا لحقيقة المطلقة، واتهمهم بالفساد، وزرع الشك والوهم والإلحاد لدى الشباب اليونان. وقد نزل سقراط إلى الشارع اليوناني والساحات العامة يناقش الشباب متظاهراً بالجهل وعدم المعرفة، فكان يجادل ويسأل. ويقوم افتراضه بالجهل على اعتقاده بأنَّ المعرفة تنبع من داخل الفرد، وأنَّ المعلم في الحقيقة لا يعلم شيئاً وإنَّما يوقظ المعرفة الكامنة في عقل طالبه بأسئلته تلك. ولما سُئِلَ عن عدم معرفة الفرد بهذه الحقائق والفضائل المطلقة عند مولده أجاب بأنَّ هذه تنسى عادة في كلِّ

مرَّة تحلُّ فيها الروح في جسم إنساني مختلف، وبذلك نرى أنَّ طريقة سقراط الحوارية تهدف إلى أن يعتاد الطفل عشق الحقائق بنفسه، وممارسة النشاط الذهني، والاعتماد على التفكير الذاتي.

ثانياً- فلسفة الحوار السقراطي:

يتمُّ الحوار لدى سقراط عن طريق طرح الأسئلة واستقبال الأجوبة. وكان سقراط يلعب دور الجاهل المستفسر، ويتولى الطالب الإجابة عن الأسئلة المتتالية. كما كان يهدف إلى وضع طلبته في مواقف حيرة وشك بما يعتقدون من مبادئ، ويؤكد سقراط أن مهمته هي مناقشة الناس ومواجهتهم فيما يعتقدون ويفكرون فيه، وإظهار ضعف برهانهم وأدلتهم، وإثارة حب الاستطلاع، وإثارة سعيهم نحو البحث عن المزيد من المعلومات، وإتاحة الفرص أمامهم عن طريق إجاباتهم، وإيصالهم إلى درجة يعتقدون فيها بنقص آرائهم.

ويظهر الحوار في صورة أسئلة متسلسلة متتابعة تطرح بسرعة بهدف إيصال المحاور إلى نقص معلوماته وخبراته، وإثارة حالة من التناقض المعرفي فيما يعتقد أو يؤمن به. وفي أحيان أخرى كان يوجه للمحاور حججاً وبراهين ضد الموضوع المطروح، من أجل أن يبذل المحاور جهداً للوصول إلى أدلة أخرى، تعمق فهمه واستيعابه البدائل المرتبطة بموضوع الحوار وقد تبنى المعلمون هذه الطريقة بهدف تحقيق التفاعل مع المتعلم والفرضية فيها: «أنه كلما صادف المتعلم في طريقه مشكلة مال إلى حلِّها بأسئلة يلقيها على نفسه أو على الآخرين، وهذا الميل إلى السؤال طبيعي في الإنسان يظهر في زمن الطفولة الأولى، وينمو بنمو شعور الطفل بالمشكلات المحيطة به».

ويرى بعضهم أنَّ الأسئلة التي تقوم على مبدأ سقراط وتهدف إلى تعليم التفكير فيما يواجه المتعلمون غرضاً عاماً، هو وضعهم في موقف يضطرهم إلى التفكير، ولها أهداف أخرى مشتقة من هذا الغرض العام، وهي:

١ - اختبار الطلاب، وهو قسمان:

أ - معرفة مدى حفظ الطلاب لحقائق الدرس الأساسية.

ب - معرفة مدى فهمه لهذه الحقائق.

٢ - حمل الطالب على ربط الدرس الجديد بمعلوماته وخبراته السابقة.

٣ - إثارة اهتمام الطالب بالدرس الجديد وإيقاظ انتباهه له، والعمل على استمراره.

٤ - تثبيت المعلومات في ذهن الطالب، ومساعدته على الكشف عن عناصر الدرس الأساسية.

٥ - الكشف عن ميول الطالب وتحقيق الاتصال به، وإعطاؤه الفرصة للتعبير عن نفسه.

٦ - تقوية رغبة الطالب في الاستزادة من الفهم.

٧ - إثارة قدرة الطالب على تقويم الأمور وتقديرها.

٨ - توسيع مدارك الطالب نتيجة لاحتكاك عقله بعقل المعلم.

إنَّ المعلم إذا ما قام بدوره هذا فإنَّه يصبح قادراً على حمل المتعلم على الكشف عن أخطائه بنفسه، وأن يقدّر مدى تقدمه أو تأخره. ومما يعطي أهمية لهذه الأسئلة، أنها تساعد على إبراز القضايا الرئيسة في الدرس، ويمكن أن تؤدي دوراً مهما كوسيلة لحفظ النظام الصفي وضبطه، وإذا ما تدنت واقعية المتعلم للاشتراك في الدرس، استطاع المعلم أن يزيد هذه الدافعية عن

طريق إثارة الأسئلة، لذلك، فإنَّ الأسئلة لا تقتصر على إثارة الانتباه لدى المتعلم فقط بل تعمل على ضمان هذا الانتباه، وتقلل من فرص التشتت الذهني عن الدرس. ويتوقف استمرار الانتباه وتواصله معه على إعداد واهتمام المعلم بالأسئلة التي يلقيها على المتعلمين . ويؤكِّد كولفن (Colvin) سقراط في قوله:

« إن جودة التعليم تقاس إلى حد كبير بنوع الأسئلة التي يلقيها المعلم، وبالعناية التي يصوغ بها أسئلته. ولا يستطيع المعلم أن ينجح في تعليمه إلاَّ إذا ملك زمام فن السؤال ».

أمَّا نوع الأسئلة التي قصدها، فإنَّها الأسئلة التي تثير التفكير لدى الأطفال والطلاب، وتسمَّى هذه الأسئلة أسئلة البحث: (Questions for Research) ويتضمن هذا النوع من الأسئلة الفكرة التي تفترضِ وضع الطفل في موقف تعلمي يضطره إلى التفكير بنفسه، إلى جانب أهميته في إثارة الانتباه. وتوليد الدافعية والشوق والاهتمام وحفظ نظام الصف، وإثارة الحيوية، والتفاعل، والنشاط الذاتي، ويتطلب استعمال هذا النوع من الأسئلة مهارة كبيرة في تحديد المناسبات التي تطرح فيها هذه الأسئلة، كما تتطلب عناية في صياغتها وإعدادها، لأنَّها تتطلب مهمة ليست بسيطة، وهي مهمة حصر أفكار الأطفال في النقاط المحددة. ويطلق على هذه الأسئلة اسم الأسئلة التربوية (Educational Questions) لتمييزها عن غيرها من الأسئلة كالأسئلة التقويمية (Evaluative Questions).

ويمكن تحديد الشروط التي ينبغي توافرها في الأسئلة التي تستخدم في المواقف التطبيقية لنموذج سقراط، كما يلي:

١ - أن يكون السؤال واضحاً دقيقاً، مختصراً، محدد الألفاظ والمعاني، واضح الأهداف والمرامي، حتى يستطيع الطالب فهمه في أقصر وقت،

وألا يكون السؤال سهلاً سخيفاً لا يستثير التفكير، ولا أن يكون صعباً يضع الطالب في موقف يعجز فيه عن معالجته.

٢ - أن تطرح الأسئلة بطريقة منطقية، يؤدّي تسلسلها وتتابعها إلى إظهار العلاقات بين الأشياء وإيجاد روابط بينها، لذلك فإنّ الأسئلة ينبغي أن تطرح وفق نظام محدد يوصل إلى الهدف الذي تستعمل من أجله.

٣ - أن تناسب الأسئلة مستوى ودرجة التحليل لدى الأطفال، ودرجة نضجهم الذهني.

٤ - أن ترتبط الأسئلة بنقطة أو بموضوع معين، وأن تقوم على أساس علمي، لأنّ ذلك يسهم في تطوير قدرة الطفل على الفهم والتفاعل مع هذه الأسئلة، والإجابة عنها بإجابات محددة، وألا يكون الطفل في موقف ضائع، وألا تبنى إجاباته على مجرد ممارسات عشوائية تقوم على الحزر والتخمين.

٥ - أن تلائم الأسئلة الأغراض التي وضعت من أجلها، بحيث تتحقق أهداف من استعمالها مثل إثارة النقاش مع الأطفال، أو إعطاء فرص لإبداء الرأي في بعض المواضيع أو القضايا، أو اختبار صحة معلومات، أو التحقق منها، أو تهيئة أذهان الأطفال لاستقبال معلومات جديدة، لذلك يحذّر من أن تكون الأسئلة من النوع الذي تكون إجابته (نعم أو لا)، فهذه الأسئلة تغلق جهد المتعلم الذهني، وتغلق محاولات تنظيمه لما لديه من معلومات ومعارف.

٦ - أن يتأنى المعلم في إلقاء الأسئلة، كي لا تكون مستعجلة تعيق تفكير الطفل فيها والإجابة عنها وألا تكون بطيئة تجلب الملل والعزوف عن الموضوع الذي تمّ طرحه، لذلك لا بدّ من أن يطرح السؤال بطريقة

يدرك فيها الطفل قيمة السؤال المطروح، وتثير لديه الرغبة في الإجابة عنه.

٧- لا مانع من أن يكون في أسئلة الحوار شيء من الإيحاء لأنّ هدف هذه الأسئلة هو البحث والكشف عن الحقيقة، شريطة أن لا تكون مفرطة في الإيحاء أو الصراحة.

٨- أن توجه الأسئلة إلى جميع الأطفال في الصف لا إلى مجموعة معينة دون غيرها أو إلى طفل بعينه، لأنّ ذلك يشتت أذهان الأطفال الآخرين ويبعدهم عن التركيز على هذه الأسئلة، ولذلك فإنّه لا بدَّ من توافر العدالة في توزيع طرح الأسئلة على أطفال الصف.

٩- أن تلقى الأسئلة في وقت يتفق مع خطوات الدرس ومراحله، ولذلك فإنّ على المعلم تحديد المناسبات التي يتمُّ فيها طرح السؤال. وفي هذه المناسبات يلقي المعلم مقدمة تتضمن بعض المعلومات التي تقود إلى هذه الأسئلة ثم يطرح السؤال المحدد.

ويمكن تحديد القواعد الذهبية التي على المعلم مراعاتها في أسئلة الأطفال كما يلي:

١- شجع الطفل على طرح الأسئلة.

٢- فرّق بين أسئلةالطفل الرئيسة التي ينبغي الإجابة عنها، وبين الأسئلة الثانوية التي لا تمسُّ صميم الموضوع أو تكون خارجة عنه.

٣- نسّق أسئلة الطفل حتى لا يقطع مجرى الدرس، ولا يُشغل المعلم فيخرج عن الموضوع.

٤- مرّن الطفل على البحث عن الجواب بنفسه شريطة أن تقدّم له شيئاً من المساعدة.

٥- عوّد الطفل على إلقاء الأسئلة بأدب ونظام واتزان وبلغة دقيقة قدر المستطاع.

٦ - اسمح للطفل القوي بمناقشة الأجوبة.

٧ - لا تخش الاعتراف الصريح بعدم المعرفة، والتجاهل، ولكن كن دائماً على استعداد للبحث، والتنقيب، والتعليم.

ومن خلال عرض فلسفة الحوار السقراطي نستنتج أنَّ سقراط استطاع أن يوضّح خاصتين أساسيتين في طريقة الحوار، وهما:

١- الحاجة إلى إثارة الحيرة لكي تثير الرغبة في البحث.

٢- تحديد الأفكار وبلورتها عن طريق دراسة الحالات المقابلة.

ثالثاً - الحوار وتوليد الأفكار: متى يبدأ وكيف يتم؟

الحوار هو جزء من عملية الاتصال بين اثنين أو أكثر،وهو علم وفن يحاول الناس تعلمه،ويرى المفكر الألماني (هابرماس) أن أفضل قيمة أخلاقية في عصر العلم والتقانة هي الحوار، والحوار مع الطفل منذ الطفولة المبكرة يساعد على بقاء قنوات الاتصال مفتوحة مع الطفل منذ سنواته الأولى فهو يؤسس أرضية مشتركة للتفاهم والنقاش، كذلك هو طريق للمعلومات وشبكة ممتازة لبث القيم الأخلاقية من جانب الأهل، ومستقبل الحوار مع الأبناء يؤدّي إلى تمتين العلاقة الأسرية من جهة، وإلى تفتح شخصية الأبناء وقدرتها على التكيف مع المتغيرات المجتمعية من جهة أخرى.

وتحذِّر التربية الحديثة (تربية عصر المعلومات) الآباء والمربين من التعامل مع الطفل بعقلية (الجزر المنعزلة) التي ستنعكس سلبا على مستقبل

الأبناء من جميع النواحي النفسية والثقافية والاجتماعية، وبالتالي ستؤثّر على مخزونهم المعرفي، يضاف إلى ذلك إلى أنَّ التعامل مع الطفل بعقلية الجزر المنعزلة يخلق هوة نفسية وثقافية بين الطرفين يزيد اتساعها كلما تقدم الطفل بالعمر، والواقع أن عصر المعلومات وهيمنة العولمة القائمة تفرض على الأسرة ردم أي هوة يمكن أن تحدث بينها وبين الطفل، والذي سيصبح مراهقاً في مرحلة لاحقة وعندما يصل الطفل إلى سن الخامسة من العمر نستطيع أن نميِّز بسهولة أسلوب التربية الأسرية الذي ينشأ عليه من خلال نشاطه الاجتماعي والعقلي، فالأطفال الذين نشؤوا في بيئة فقيرة في الحوار تبدو عليهم علامات الانعزالية، ويفتقرون إلى المهارات الأساسية في الحوار الاجتماعي.

وتأسيساً على ما سبق فإنَّ مرحلة الطفولة المبكرة فترة زمنية خصبة وفاعلة لمد قنوات الاتصال مع الأطفال وإغنائهم بالمفاهيم والقيم الضرورية الداعمة لارتقاء الحوار.

لقد فرضت ثورة الاتصالات والتقانات الحديثة والتي نتج عنها انكماش الزمان والمكان على المجتمعات الإنسانية أن ترتقي بأسلوب الحوار فيما بينها للوصول إلى تعايش إنساني هدفه ارتقاء الحياة على ظهر هذه المعمورة، وعلى اعتبار أنَّ مرحلة الطفولة المبكرة هي مرحلة الفرص الزمنية لاكتساب المهارات. فإنَّ تدريب الطفل وإفساح المجال أمامه وإعطاءه الحرية للحوار وإبداء الرأي، مسألة أساسية على الأسرة أن تعي أهميتها وتعمل بها.

ومما سبق نستطيع القول إنَّ الحوار مع الطفل هو عملية اتصال مستمر في اتجاهين، وهي تشمل:

١ – محاولة فهم الأفكار والمشاعر التي يعبِّر عنها الطفل.

٢ – الاستجابة أو الرد بطريقة نافعة ومساعدة.

وإنَّ نجاح أيِّ حوار مع الطفل يتوقف على مدى قدرة المربي على الإصغاء إليه وفهم الرسالة التي يعبِّر عنها ومهارته في إيصال أفكار للطفل ومشاعره جيدا

رابعاً - بدايات الحوار مع الطفل:

منذ اليوم الأول لولادة الطفل، نبدأ نحن الكبار بالتفاعل معه بمختلف الطرائق المادية والمعنوية فنرعاه ونحتضنه، ونقدِّم له الخدمات التي تعبِّر عن حرصنا عليه وحبنا له، ولكن الحب الذي نشعر به تجاه هذا الطفل، لا نصل إليه عن طريق الخدمة والرعاية فقط، فنحن في حاجة إلى جسر يصل بيننا وبينه ليستطيع أن يشعر بشعورنا تجاهه، وهذا الجسر هو الحديث إلى الطفل وبالأحرى الحوار معه، وليس توجيه الكلام إليه الذي نطلب فيه من الطفل شيئاً ما.

إنَّ توجيه الكلام للطفل (البس ملابسك ... تناول طعامك... شاطر .. بطل... إلخ) هذا ليس حواراً مع الطفل إنِّما أسلوب نستخدمه مع الطفل لنضمن طاعته أوامرنا، والنبرات القوية لهذه الكلمات قد تؤذي مشاعر الطفل وتسبب له التوتر والقلق مما يزيد من معدل تكرار السلوك السلبي، وقد يرى بعضهم أنَّ الطفل غير قادر على فهم الكلمات الموجهة إليه فلا يوجه للطفل أي حديث على الإطلاق، وبالتالي يهمل الطفل ويستبدل الكلام بحركات جسمية كشده لمنعه من تصرف ما أو ضربه أو ضمه بقوة أو استخدام أسلوب المداعبة الحره مثل شد لعبة منه ثم إرجاعها للتعبير عن الحب والسعادة معه،

وكل هذه السلوكيات الجسمية لا تقدّم أيَّ نوع من الحب أو التوجيه، وكلٌ ما تقدمه أنَّها تعطي الطفل انطباعاً عن ذاته، بأنَّه لا يستطيع أن يفهم أو يتعامل إلا بتلك الطريقة التي عومل بها، فيلجأ إلى استخدام يديه في التعبير، سواء في شد الأشياء أو ركلها أو ضرب أقرانه، لأنَّه لم يتعلم طرقاً أخرى للتعبير عن مشاعره وبذلك ينمو وهو لا يستطيع أن يتقدم إلى أمه ويخبرها بمشكلة واجهته حتى إذا كان إنساناً ناضجاً.

وبذلك نقول إنَّ تعليم الطفل اللغة وإرشاده إلى أساليب التخاطب مع من حوله بأسلوب طبيعي خلال التعاملات اليومية العديدة ــ إنَّ أعظم هدية يمكن أن يقدمها الأهل للطفل ــ وكذلك مساعدته على اكتشاف قدراته واستخدامها إلى أقصى حد ممكن في طريق تعلم اللغة والتخاطب، وتذليل العوائق والصعاب واستخدام أفضل الطرق التربوية لتحقيق ذلك.

إن الأطفال يبدؤون التواصل منذ اللحظة التي يولدون فيها، وحينما ينمون وتتوافر لديهم فرص للتعلم فإنَّهم يطورون طرقاً للتواصل أكثر وضوحاً تحظى بقبول الآخرين وتفهمهم. وهذا يتطلب معرفة بمراحل نموّهم وبتطوّر إمكانياتهم ويحتاجون إلى وقت لمعرفة ذلك، وهذا بدوره يؤدي إلى السماح لهم بقيادة الحديث ونمو اللغة وتعميق التجربة.

إنَّ تعلم اللغة يتمُّ ضمن المحادثات الطبيعية المعتادة التي تحدث في ممارستنا اليومية، والطفل لا يستخدم كلمات لم يعتد عليها أو يكررها كثيراً في حياته اليومية لأن الاكتساب تدريجي، واستخدام الحوار مع الطفل يشجّعه على عملية التواصل، مع الأخذ في الحسبان تفاوت قدرات الأطفال وإمكانياتهم في الاستجابة والإدراك.

إنّ فهم وتفسير محاولات الأطفال على التواصل والاستجابة لها، تبعث على الإحساس بالسعادة والرضا، وتدفعهم بشكل رئيس إلى زيادة حماسهم ورغبتهم في التواصل.

والطفل لا يتعلم الكلام بالتحدث إلى نفسه فحسب، بل إنّ قدراته لا تتطور إلاّ من خلال تفاعله مع العالم المحيط به، ويشكّل الوالدان وبقية أفراد الأسرة الجزء الأكبر من ذلك المحيط ولذا فإنّ طريقة الأم خاصة في التعامل مع طفلها ستترك أثراً كبيراً على طريقة تخاطبه، وعليها أن تدرك أهمية الدور الذي تؤديه في حياته وأهمية استجابتها لاحتياجاته واهتماماته.

خامساً - المنهج التربوي لتشجيع الأطفال على الحوار:

يرتكز هذا المنهج التعليمي على مفهومين رئيسين بإمكان الأم تطبيقهما وفق خطوتين متتاليتين للتواصل مع طفلها على النحو التالي:

الخطوة الأولى:: راقبي، انتظري، أنصتي إلى الطفل.

الخطوة الثانية: اسمحي لطفلك بقيادة الحديث، تكيفي مع سلوكه لتشاركيه هذه اللحظة، **أضيفي** إلى لغته وتجربته خلال هذه اللحظات.

والخطوة الأولى تتطلب وقتاً كافياً ومهارة حقيقية لفهم كلام الطفل ورسائله ليتم فكُّ رموز هذه الرسائل، لأنّ لكلٍّ طفل أسلوبه الخاص المكوّن من حركات الجسم والأصوات. ولكي تتعرفي على طفلك بصورة حقيقية يجب أن تعملي على ملاحظته ومتابعته، ثم إعطائه الفرصة الكافية للتواصل بطريقته الخاصة، مع الاستماع إليه جيداً، وعندئذ سيدرك مدى اهتمامك وحرصك على الاستماع إليه، وهذا وأنّ محاولاته للتواصل تلقى الاهتمام والترحيب منك. وفي هذه الخطوة يمتزج الحنان بالتعلم معاً.

أمّا الخطوة الثانية: وهي السماح للطفل بأن يقود الحديث.

فعليك أن تعرفي أولاً إلى أيّ فئة من الأمهات تنتمين؟ هل أنت من:

أ - الأمهات المبالغات في المساعدة: فهن من فرط حبهن لأطفالهن لا يعطين الفرصة لهم بأن يقوموا بعمل شيء، أو أن يعبّروا عن رغباتهم بطريقتهم الخاصة.

ب - الأمهات المستعجلات: وهن اللاتي يعطين الأولوية في التعبير بدلاً من الاستماع للطفل.

ج - الأمهات الملقنات: وهن اللاتي يتحدثن معظم الأوقات ناسيات أنَّ أفضل طريقة لتعلّم الطفل هي أن يشارك الطفل بنفسه في الحديث، بدلاً من مجرد المشاهدة أو اتّباع التعليمات.

د - الأمهات المستجيبات: وهن اللاتي يشجعن الطفل على التحدث بتقديم استجابات مناسبة لمبادرات الطفل حافزا له على التقدم في الحديث والتواصل.

فإذا كنتِ من النوع الملقن أو المستعجل أو المساعد، فعليكِ أن تتحولي إلى الفئة المستجيبة المشجّعة، ولكي تكوني كذلك إليكِ بعض الإرشادات:

- كوني وجهاً لوجه مع طفلكِ، شاركيه في تركيز النظر على الأشياء التي يركّز عليها نظره.
- انتظري طفلك وامنحيه مهلة ليعبّر عن نفسه بطريقته الخاصة، بدلاً من توقّع احتياجاته، أو مقاطعته عند قيامه بأية محاولة للتواصل.
- حاولي تقليد وتفسير أفعال طفلك، والأصوات التي يصدرها بدلاً من محاولة دفعه للتكلّم.

❖ حاولي مجاراة الحالة العاطفية، ومستوى الجهد الذي يبذله طفلك، بدلاً من مجرد فرض طريقتك الخاصة في كيفية عمل الأشياء، أو متى يجب إنجازها وإذا ما استجبت لاهتماماته واحتياجاته وتعاطفتِ معه وجدانياً فسوف يكون الحديث تعبيراً عن تواصله معك.

❖ لمساعدة طفلك على المبادرة أكثر حاولي:

- تقديم المثيرات المحببة التي تساعده على التواصل.
- استخدام اللعب اثناء الحديث وسرد قصة يحبها وتشجيعهه لإكمالها عبر تخيله الخاص.

❖ ولمساعدة طفلك على تقليد الأفعال، والأصوات، والكلمات التي أصدرها حاولي أن:

- تطلبي منه تقليد وترديد الكلمات والعبارات التي تقولينها
- تطلبي منه تقليد الافعال التي تقومين بها .

❖ لمساعدة طفلك على أن يشارك بشكل أكبر في الأنشطة يمكنك أن :

- تشجيعه على القيام بأدوار بسيطة يستطيع أن يحقق نجاحاً فيها.
- تمسحين على رأسه وتقبلينه عند استجابته في المشاركة.

سادساً - أهمية الحوار مع الطفل:

إنّ الحوار بين الطفل ووالديه يعود بمجموعة من الفوائد نذكر منها:

١- **التعارف:** إذا كان هناك حوار كان هناك تعارف، أي أن يكون الشخص أقرب إلى بقية أفراد الأسرة.

٢- **التآلف:** إذا كان هناك حوار سيزيد التآلف بين أفراد الأسرة ويكون هناك حب واقتراب من بعض.

٣- **التكاشف:** من خلال مفاتيح الحوار سيتم التكاشف والوضوح للجميع وبهذا تنكشف المشاكل.

٤- **التعاطف:** من خلال الحوار تزداد المحبة بين أفراد الأسرة.

٥- **التلاطف:** بمعنى أننا لا نريد من الحوار فقط الجو الرسمي، بل المعنى الحقيقي للحوار يكون بالكلمة الحلوة والجو اللطيف.

وبذلك يزداد التعارف والتآلف والتكاشف والتعاطف والتلاطف بين الطفل ووالديه مما يساعد على تنشئة الأطفال تنشئة اجتماعية سوية منذ البداية، ولكن أحياناً قد تكون نتائج الحوار سيئة بين الآباء والأبناء إذ ليس بالضرورة أن يكون الحوار فعالاً وإيجابياً دائماً، فصراع الوالدين يتأثر به الأبناء، وأحياناً يعتمد بعض الأبناء على إثارة الوالدين إلى قضية ما، وبهذا يلفت أنظارهم إلى حوارهم الخاطئ.

ومن الملاحظ أنَّ الأسرة تهمل الحوار مع الطفل وإذا اهتمت بالحوار فإنها تحاور أطفالها حول مواضيع محدودة جداً فتحاوره في طفولته من أجل أن ينفذ الأوامر ويقوم بالطاعة لأوامرها، وتحاوره عندما يكبر ويصبح في المدرسة حول قضية قد تكون مملة أحياناً بالنسبة لبعض الأطفال حول الدراسة مما يؤدّي أحياناً إلى هروب الأبناء من الأهل.

ولذلك لا بدَّ من أن تتعدد موضوعات الحوار وتتدرج بالسؤال عن الطفل أو الولد ومن ثم التدرج إلى المواضيع الأخرى، وبذلك يكون الحوار أكثر إيجابية لأنَّ الأطفال بحاجة لأن نشاركهم همومهم الصغيرة التي تشغل بالهم فالوصول إلى الحوار الفعال يتمُّ من خلال العبور على الجسر الذي يحبه الطفل، وبذلك يمكن الوصول إلى أهمِّ مفاتيح الحوار ومن ثم إلى قلوب الأطراف الأخرى.

وللحوار الإيجابي مجموعة فوائد عامة لكلّ إنسان نذكر منها:

١- إنه يزيد من قبول وتقديره الإنسان في المجتمع.

٢- إنه يزيد من التقارب النفسي لأبناء المجتمع.

٣- إنه تزداد به الأفكار وتنمو ويتوسع الخيال.

٤- إنه يسهم في مساعدة الأفراد على اتخاذ القرارات الهامة.

٥- إنه يشبع حاجات الإنسان ويساعد على نمو المهارات المتنوعة وازدياد الثقافة.

٦- إنه يزيد من مستوى المفردات لدى الأطفال.

٧- إنه يعرّف الأطفال بحقوقهم وواجباتهم.

سابعاً - طبيعة الحوار في الأعمار المختلفة :

إن حياة الأطفال الصغار جداً تدور حول محورالأسرة والأشخاص الذين يعتنون بهم، ويعتمد تطور الطفل، ذكراً كان أم أنثى على مقدار الاهتمام والرعاية الذي يوفره له هؤلاء الأشخاص، وينمو الطفل ويتطور، جسدياً وعاطفياً من خلال التكلم واللعب ومراقبة الآخرين والمشاركة في حياة الأسرة، ومع نمو الطفل ينمو أيضاً فهمه للغة وقدرته على التعبير عن أفكاره ومشاعره.

في معظم المجتمعات، سرعان ما يُقيم الطفل شبكة من العلاقات مع أشخاص من مختلف الأعمار من الكبار والصغار، فضلاً عن أفراد الأسرة المباشرين بين (الأم) (الأب) (الأخوة) يتعلم الأطفال إقامة التواصل مع أفراد الأسرة الكبرى (الأقارب) والأصدقاء والجيران. وهم يحتاجون إلى هذه الفرص الاجتماعية الغنية بقدر حاجتهم إلى إرشاد وتوجيه من الكبار الأقرب إليهم لكي يتطوروا عاطفياً وفكرياً.

وكثيراً ما يخطئ الكبار عندما يعتقدون أنّ الأطفال دون السابعة من العمر أصغر من أن يلاحظوا ما يحصل حولهم أو أصغر من أن يتمكنوا من نقل أفكارهم ومشاعرهم إلى الآخرين.

ويفترض البعض أنَّ الأطفال لا يشعرون بضائقة الآخرين، ولا يتأثرون بالأحداث الخطرة أو الحزينة، فتراهم بالتالي لا يشرحون لهم شيئاً مما يدور حولهم. ويتركون الطفل مع ذكرياته الأليمة بمفرده يستنتج ما يشاء دون شرح وتفسير الحدث إن كان موت أو اعتقال أحد أفراد الأسرة أو سفره.

والواقع أنَّ الأطفال يعيشون منذ لحظة الولادة، ضمن مجموعة اجتماعية، وهم شديدو الحساسية إزاء الجوالعاطفي المحيط بهم وإزاء تصرفات الآخرين. وحتى عندما لا يستطيع الأطفال الصغار التعبير بالكلمات عن مشاعرهم أو أفكارهم فإنّهم يعبّرون عنها بشكل غير مباشر من خلال سلوكهم وطريقة لعبهم ورسومهم أو من خلال أحلامهم وكوابيسهم. فمن خلال هذه التعبيرات يطرحون أسئلة عن وضعهم، أو حول الناس الآخرين، وعلينا أن نقبل أنَّ الطفل يعبِّر عن مشاعر القلق أو الحزن من خلال السلوك (كالانفعال مثلاً أو الاستيقاظ ليلاً) أكثر مما يعبِّر عنه بالكلمات.

إنَّ مساعدة الأطفال تتطلب حساسية مرهفة تجاه هذا التواصل وحل المشكلات وتحمل المسؤولية وإنجاز واجباتهم. وفيما يلي عرضٌ لطبيعة الحوار في الأعمار المختلفة:

١- **في السنوات الخمس الأولى:** حيث يميل الطفل إلى اللعب واللهو، ويكون بحاجة إلى تلاطف وحوار، وبذلك يمكن استغلال مواقف اللعب ومشاركة الطفل باللعب لفتح قنوات حوار معه، كما يمكن فتح قنوات

حوار مع الطفل من خلال تصرفاته اليومية وأسئلته التي لا تنتهي، والتي يطرحها باستمرار لإشباع حب الاستطلاع لديه.

٢- **في السنوات الخمس الثانية:** وهنا يكون الطفل بحاجة إلى تقدير مشاعره وأحاسيسه وهذه المرحلة العمرية مهمة في تكوين السمات الخلقية لديه وتظهر لديه في هذه المرحلة علائم الحياء والخجل الزائد وعدم الثقة بالنفس فالحوار هنا ضروري شرط أن يكون بعيداً عن السخرية، مساعداً على تعزيز ثقة الطفل بنفسه.

٣- **في السنوات الخمس الثالثة:** والحوار مع الأبناء هنا يتطلب مستوى من الوعي الأسري وشيئاً من الثقافة والمستوى العلمي وتحسس ما يريد الابن في هذا العمر. لأنَّ هذا يعطي للأبناء مؤشِّراً بأنَّ الوالدين قادران على الحوار وتلبية طلباتهم وفهمهم.

ثامناً - أسس الحوار مع الطفل :

هنالك ركائز أو لنقل أسس يعتمد عليها الحوار مع الطفل وهي:

أ - تقبل مشاعر الطفل :

أولاً : أن نتقبل مشاعره قبل أن نبدأ الحوار معه فالأطفال مثل الكبار، يفكرون وتدور الهواجس والأحاسيس في داخلهم، ولكن الفرق بينهم وبين الكبار أنَّهم لا يستطيعون التعبير عن مشاعرهم فتعمل الأحاسيس المختلفة بداخل الطفل الذي لم يتمكن بعد من التعبير عنها كما يفعل الكبار، ويتمُّ التعبير عن هذه المشاعر تلقائياً بسلوكيات مختلفة كالبكاء أو نوبات الغضب أو الهرب والالتصاق بالأم أو الأب، أو رفض المحاولة أو ضرب أو عض

وما إلى ذلك. وما يفعله الكبار تجاه ذلك عادة - هو توبيخ الطفل أو نهيه عن إظهار مشاعره بهذه الطريقة. فمثلاً عندما يقع الطفل نقول له: لا تبك هذا جرح بسيط، أو أنت لست صغيراً لتبكي، أو نعلق على بكاء الرضيع ونقول: أوه أنت لا تسكت أبداً أزعجتنا كثيراً.. وهكذا تتوالى التعليقات المختلفة التي تظهر عدم تقبلنا للمشاعر، فمثلاً عندما يضرب أو يعض طفلاً آخر، بدلاً من الهجوم على المعتدي وضربه أو توبيخه بكلمات قاسية علينا أن نهتم بالطفل الضحية بأن نضمه ونهدئه بوصف شعوره له بالكلمات: (أنت متألم... هل تريد مساعدة؟) ثم نلتفت إلى المعتدي ونقول له بحزم (أنا أعرف أنك متضايق من عمر، تعال وأخبره بذلك، أما العض فهو مؤلم جداً، ولو كنت غاضباً يمكنك عض هذه المخدة فهي لا تتألم).

وبهذه الطريقة نكون قد تحدثنا مع الطفلين وساعدنا كليهما على تقبل مشاعرهما وتقديم أنموذج إثبات.

إن ما سبق يتطلب منا استعراض مشاعر الطفل وكيفية التعامل معها:

١- الغضب :

عند التعبير عنه بسلوك غير مقبول علينا أولاً إيقاف السلوك المؤذي للطفل أو للآخرين مثل الضرب أو العض أو قضم الأظافر أو صدم الرأس أو أحد أجزاء الجسم في الأرض، وذلك بأن نقترب من الطفل ونطلب منه أن يتحدث، وربما نسمح له بضرب شيء طري للتنفيس مع قول: أنا أعرف أنك غاضب، ولكن لن أسمح لك بإيذاء نفسك أو الآخرين هل تريد أن تخبرني شيئاً ؟

٢- الألـم :

قد يتعرض الطفل للألم المعنوي أو الجسدي، فيلجأ إلى البكاء، وعلينا في هذا البكاء، الموقف البعد عن وصف الطفل بصفات معينة، مثل: عيب أنت لست صغيراً، وبدلاً من ذلك يقال له، بعد ضمه بحنان: «أنا أعرف أنك متألم ولكن صوت بكائك مرتفع، تعال يمكن أن نخرج حتى تهدأ» ثم بعد أن يهدأ الطفل يمكنه أن يتحدث إلى الشخص الذي آلمه أو إلى المربي للتعبير عن شعوره أو يمكن للمربي أن يساعده في ذلك إذا كان صغيراً: (تعال نتحدث إلى عمر ونطلب منه لعبتك).

٣- الخوف :

يظهر الأطفال الخوف في مواقف مختلفة مثل الخوف من التجريب والمحاولة، أو الخوف من الآخرين أو من الحيوانات، ويقع المربون في الخطأ عندما يحاولون إقحام الطفل في تلك المواقف، أو توبيخه على خوفه. وما علينا أن نقوم به هو الاعتراف بمخاوف الطفل: (أنت تحب أن تسلم على فلان، حسناً، وهو سيفرح كثيراً عندما نقوم بذلك..) أنت خائف من البقاء في الروضة ولكن ستعتاد على المعلمة والأطفال، ويقل لديك هذا الخوف.

وعندما يخاف من حيوان أو من شيء آخر نتقبل خوفه ونساعده بأن نقول: (الحيوان لن يؤذينا، فهو داخل القفص) (اللصوص لن يدخلوا بيتنا لأننا أغلقنا الباب، وأنا سأكون في الغرفة المجاورة) وهكذا واجهنا سلوك الطفل وأعطيناه الفرصة ليكون إقباله على أداء السلوك نابعاً من ذاته، بدل أن يسبب له عدم تقبلنا لشعوره ضيقاً أكثر وتوتراً شديداً.

٤- التمركز حول الذات :

يولد الإنسان بمشاعر طبيعية لحماية ذاته وإرضائها، وحين يرفض الطفل المشاركة في لعبته أو مشاركة طفل جديد الحب من والديه فهذا جزء من مشاعر حماية الذات. ورفض هذه المشاعر والتقليل من أهميتها يزيد من توهجها وظهورها بمظاهر سلوكية أخرىً. فبدلاً من توبيخ الطفل الذي يدفع أخاه الرضيع من حجر أمه، تخبره: أن هذا الدفع يؤذي الرضيع، سأعطيه رضعته وأضعه في سريره ثم أضعك في حجري وأضمك كثيراً فأنا أستمتع بالحديث معك. وكذلك عندما يرفض طفل المشاركة في لعبته يجب أن نقول له: (أنا أعرف أنك تحب لعبتك كثيراً ولكن أحمد سيفرح كثيراً عندما تعطيه دوراً في لعبتك وهو يعطيك دوراً في لعبته) ثم نترك للطفل الفرصة في اتخاذ القرار، وعلينا قبول ذلك القرار مهما كان مزعجاً.

ب - الاستماع إلى الطفل :

من النادر أن نستمع إلى الطفل، إلاَّ إذا لجأ إلى الشكوى أو البكاء، فالأم عادة تنشغل عن رضيعها، ولكنّها تأتي بسرعة إليه حين تسمع بكاءه.

والأمهات والمعلمات يتركن الأطفال يلعبون دون أي اهتمام، حتى يتقدم طفل بالشكوى أو بالبكاء. ولو جاء الطفل باكياً، فإننا لا نستمع إلى مشاعره بل نسأله: (من الذي ضربك) فيترك الطفل أحاسيسه الأساسية ويوجه مشاعره إلى الكره والغضب من الضارب.

والطريقة الأجدى في مثل هذه الحالة أن نعطي الطفل الفرصة في الحديث ثم نغضب: (أنت متضايق من سلوك فلان سآتي معك)، ويمكن أن

تخبره بشعورك ومن الأخطاء الشائعة في أسلوب التواصل مع الطفل، أنّه قد يحضر إلى المربي ليحدثه في أمر ما، فيقوم المربي بترك الطفل يتحدث، وهو منشغل عنه بأشياء أخرى مثل عمل أو تلفون أو حديث آخر، والاستماع المطلوب هو أن نجلس في مستوى نظر الطفل ونصغي إلى حديثه، ويكفي أن نعيد ما قاله الطفل للتأكيد له أننا قد اهتممنا بحديثه، واستمعنا إليه.

تاسعاً - العوامل المؤثّرة في الحوار مع الطفل :

يتمُّ الحوار مع الطفل من خلال الحديث معه والحديث مع الطفل ليس مجرد كلمات أو توجيهات تذكر للطفل، إنّما هو مجموعة من الأحاسيس والمهارات والأصوات والمواقف التي تتفاعل بعضها مع بعضٍ لنستخدمها في عملية الاتصال مع الطفل.

ويتأثر الحوار مع الطفل بالعوامل التالية:

١- نبرات الصوت :

على المتحدث إلى الطفل أن يكون قادراً على ضبط انفعالاته، أي يجب أن يبتعد في حالة الغضب لأن صراخه وغضبه سينعكس على الطفل، ويكون ردُّ فعله أيضاً بالصراخ، والطفل حين يصرخ المربي (أم أو أب) بوجهه يعتقد أنَّ الطرف الآخر يكرهه وسيكون الطرفان أمام حلقة مفرغة من التوتر والقلق أمّا حينما يستطيع المربي ضبط انفعاله، والتروي قبل التحدث إلى الطفل وتوضيح السلوك الخاطئ للطفل فإن باستطاعة الطفل أن يستوعب الأمر، وأن يضبط بالمقابل انفعالاته، فالراشد هو القدوة بالنسبة للطفل في تصرفاته.

٢- وضوح الكلمات :

قد يعتقد بعض من الناس أنَّ الطفل لا يفهم الكلمات التي يستخدمها عالم الكبار فيلجؤون إلى استخدام كلمات بديلة، أو تصغير كلمات أخرى غير مفهومة في قاموس لغتنا العربية، معتقدين أنَّ ذلك يساعد الطفل على الفهم، وبالتالي تكون الاستجابة أفضل، والحقيقة غير ذلك. لأنَّ استخدام الكلمات ذاته أي كلمات الكبار بطريقة مبسطة وفي جمل مكونة من كلمتين أو ثلاث تساعد الطفل بصورة أسرع على الحديث وعلى الفهم لحديث الآخرين فبدلاً من كلمة (نينه – نينه) نقول له (أكل) كذلك من المهم جداً ألاَّ ندمج الكلمات، وألاَّ نكثر من المعلومات في وقت واحد فبدلاً من القول (تعال اجلس وكل طعامك) نقول أولاً: (تعال اجلس) ثم نقول (كل الآن طعامك) ومن الجدير بالذكر أنَّ التحدث إلى الطفل يبدأ منذ اليوم الأول لولادته وقد يبدو هذا الكلام غريباً بعض الشيء إلاَّ أنَّ الخبرة في التربية تثبت ذلك إذ بإمكان الأم أن تتحدث إلى رضيعها ليعتاد سماع الصوت، وليعتاد نمط اللغة، فعندما تريد إطعامه تقول له هل أنت جائع تعال لنأكل هل أنت مبلل لثيابك تعال لنبدلها، وهكذا ومع الزمن سيخزن الطفل في ذاكرته هذه الكلمات الحنونة الدافئة ولو لم يفهمها بالبداية فإنَّها ستعزز بأفعال سارة فمجرد سماعه هذه الكلمات سيستجيب لها وستزداد ثقته بكلمات أمه وأحاديثها وهذا الأمر سيحمله معه إلى الروضة.

فثقته بأمه تجعله عندما تخبره أنه سيبقى في الروضة وستأخذه بعد قليل فإنه سيثق بكلامها، وسيخفف عليه هذا الشعور من قلق الانفصال عنها عند خروجه إلى المجتمع الخارجي.

٣- المسافة بين المتحدث والطفل :

يجب أن تكون المسافة بين الطفل والمتحدث قريبة نوعاً ما، لذا يجب أن نجلس في مستوى نظره ونكون قريبين منه حتى يسهل عليه فهم ما نطلبه منه، وحتى يعرف أهمية الحديث، وذلك لأنَّ الطفل يتصف بعدم قدرته على التركيز على أشياء متعددة في وقت واحد، فهو لا يستطيع أن يشاهد التلفاز أو يلعب بلعبه ويسمع حديث أمه في الوقت نفسة، ونلاحظ أنَّ كثيراً من الأمهات تلوم الطفل على عدم رده على النداءات المتكررة، والحقيقة أنَّ الطفل لا يسمع من شدة اندماجه بالعمل الذي يقوم به.

٤- السرعة المستخدمة في التحدث :

إنَّ السرعة في التحدث مع الآخرين تجعل الكلام غير مفهوم، فقد يتحدث أحدنا إلى الطفل بلهجة سريعة مما يسبب التوتر للطفل نتيجة هذه السرعة، وسبب هذا التوتر نقص خبرة ومهارة الطفل في استيعاب الكلام الموجه إليه لذا علينا الاهتمام بهذه الظاهرة والانتباه إليها عن طريق التنظيم واعتماد السرعة العادية في الكلام مع إعطاء الطفل الوقت الكافي للتنفيذ.

٥- الثبات والحزم :

الثبات والحزم من المهارات التي يجب أن يتعلمها الكبار في التعامل مع الصغار، وتعدَّ هاتان المهارتان مهمتين جداً في تحقيق الأمن النفسي للطفل فالثبات في الحديث يعني عدم الخضوع للانفعالات التي نحس بها من غضب أو عطف أو غيره، والثبات في التنشئة هو مفتاح توجيه الطفل وبناء شخصيته الاجتماعية.

أمَّا بالنسبة للحزم، فالمقصود به عدم التراخي في الأنظمة والقوانين التي تقدمها للطفل، وأن يكون حديثنا متناسباً مع الموقف، فمثلاً عندما نتحدث إلى طفل تعرض للأذى يكون حديثنا موجهاً بحنان ورقة، أمَّا عندما نتحدث إلى الطفل الذي قام بالأذى، فإنَّ الحديث يكون بأسارير وجه جادة وواضحة وهادئة. وكثير من المربين يخلط بين الحزم والعنف، مع أنهما ضدان، فالعنف يعني الغضب المعنوي أو الجسدي، أمَّا الحزم فيعني الجدية والثبات والوضوح والمراقبة وتوفير الأمن للطفل وللآخرين، فعلى سبيل المثال عندما يضرب طفل طفلاً آخر، هناك ثلاث طرائق للتفاعل مع هذا السلوك:

العنف : «أنت ضربت سمير قم يا سمير واضربه» أو «أنت ضربت سمير يجب أن أحرمك من اللعب هنا».

عدم الحزم **«يا شاطر لا تضرب سمير مرة أخرى».**

الحزم: وضع اليد على كتف أو يد الطفل والجلوس أمامه والنظر في عينيه: «أنا أعرف أنك متضايق، ولكن لن نسمح هنا بإيذاء الآخرين، وعلينا التحدث معهم اذهب وتحدث مع سمير، ثم بعد تكرارها – مرة أخرى – نمسك الطفل بالطريقة السابقة ونقول: عندما تؤذي الآخرين يلزم علينا الانفصال عنهم – تعال معي واجلس هنا وفكر في الموضوع لدقائق».

ومن خلال عرضنا للعوامل التي تؤثِّر في الحوار مع الطفل يتبين لنا أن هذه العوامل مهمة في فتح قنوات للحوار مع الأطفال وقد يصعب على الكبار تغيير طريقتهم في التعامل مع الأطفال لأنَّها هي الطريقة التي تعودوا عليها نموا وترعرعوا من خلالها، سواء أكان ذلك في الحديث أو في التعامل أو في غير ذلك من التفاعلات الإنسانية، ولكن مع العزيمة والإصرار وما

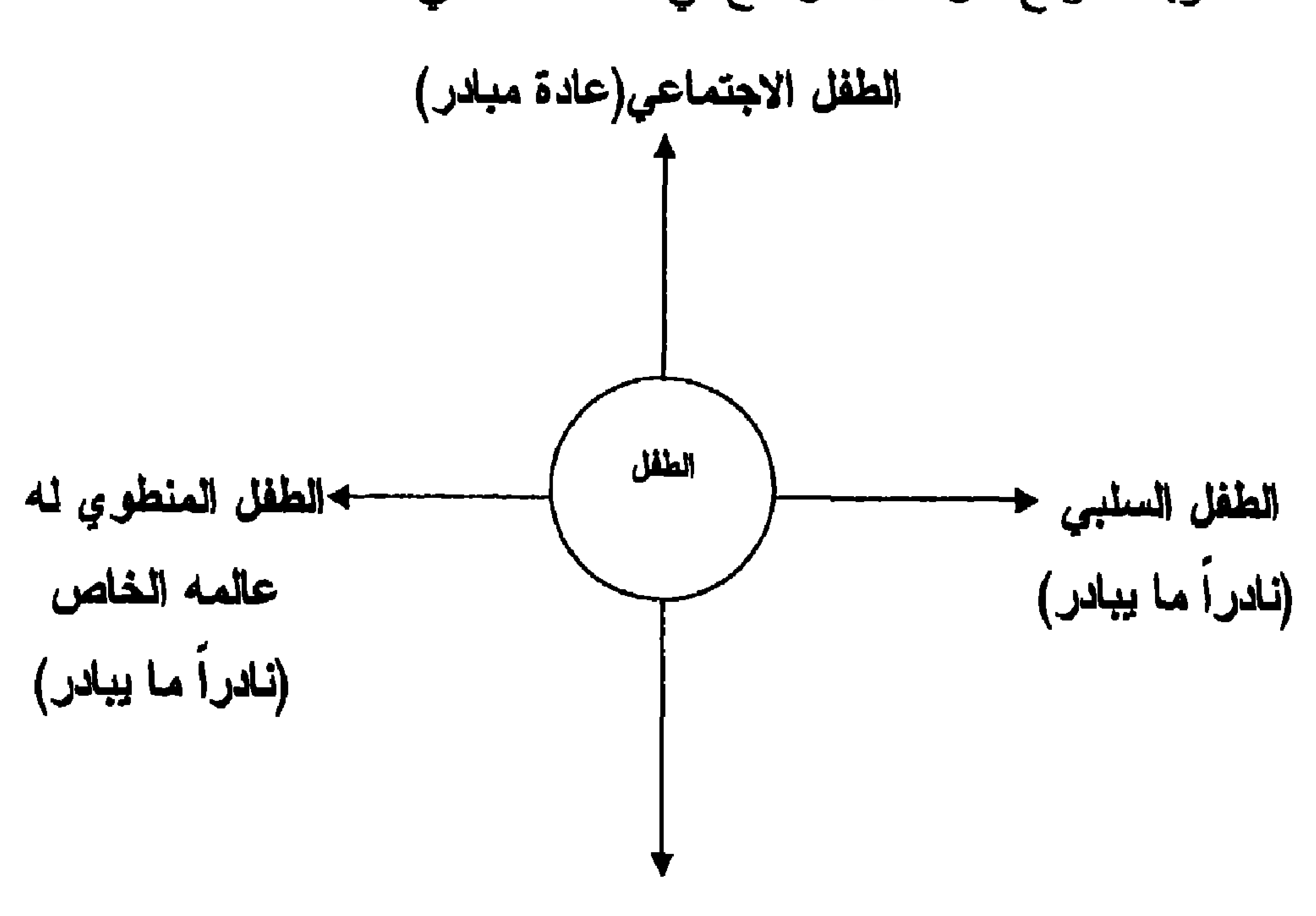
نضعه أمامنا من أمل في الوصول إلى راحة طفلنا، وإلى نموه الصحيح عاطفياً واجتماعياً وإدراكياً، فإننا سنثبت أمام جميع التحديات التي نواجهها سواء أكانت داخلية أم خارجية، ولنتذكر دائماً أنَّ هناك فجراً جديداً.

عاشراً - أشكال التواصل لدى الأطفال :

إنَّ الحوار مع الطفل يتطلب منه الاستجابة والتواصل وبذلك نحدد أشكال تواصل الأطفال :

١- المبادرة بالحديث، حيث يبادر بعضهم بذلك بينما لا يبادر بعضهم الآخر.

٢- الاستجابة للحديث حيث يستجيب بعضهم، وبعضهم الآخر لا يستجيب لمبادرة التواصل. وعندما يبادر الطفل بالحديث ويستجيب فإنَّ هنالك أربعة أنواع للتواصل: توضَّح في المخطط التالي:



وعلى الأسرة أن تدرك الطبيعة الخاصة لطفلها في التواصل، مع الأخذ بالحسبان أنَّ الطفل قد يتعرض للتغييرات العديدة في سلوكه ومزاجه، وهنا لا بدَّ للأسرة من إدراك هذه التغييرات لتعدل سلوكها حسب الموقف ولا بد أن تتعرف الأسرة على كيفية التعامل مع كلِّ طفل من الأطفال السابقين (**السلبي - الاجتماعي - الخجول - المنطوي**) .

١- الطفل الخجول :

وهو طفل لا يستجيب للحوار مع الآخرين إلاَّ أنَّ الخجل عند الطفل هو ظاهرة طبيعية وعارضة، ولكن إذا تكررت هذه الظاهرة مع الطفل لأتفه الأسباب تصبح عندها مشكلة، والطفل الخجول يحمر وجهه ويميل إلى الصمت ويتعثر في كلامه وبذلك يصبح التواصل معه صعباً جداً، ولكن تشجيعه على الكلام والتحدث والاستماع إليه وامتداحه أمام أترابه لسلوكاته الجيدة، يخفف من خجله إضافة إلى الابتعاد عن القسوة والتهكم في التعامل معه، مع تكليفه بإنجاز بعض الأعمال التي في مقدوره إنجازها بنجاح تعزيزاً لثقته بنفسه، والاهتمام به وعدم السخرية منه أمام الآخرين، وعلينا ألاَّ نتولى زمام أيِّ مبادرة عنه، ولا نقلق من لحظات سكونه لأنَّ ملاحظتنا له أثناء سكونه سوف توجد فرصاً للتواصل معه. وعلينا أن نجلس وجهاً لوجه أثناء التواصل معه، ونكرر معه الأفعال الروتينية التي يحبها حتى يكون قادراً على توقع ما سيحدث، ثم علينا الانتظار حتى يستجيب، لأنَّه سيتوقع ماذا سيحدث بعد قليل.

إنَّ الطفل الخجول يحتاج لمن يثير حاسة الفضول لديه، ويكون ذلك بتوفير فرص وأنشطة يهتم بها كثيراً بحيث يقوم باستكشاف هذه الفرص والأنشطة.

لذلك علينا إغراءه بالقيام بالأنشطة التي يحبها وأن نستغل أيَّ فرصة للتواصل معه مهما كانت بسيطة.

٢- الطفل الاجتماعي :

لا بدَّ من دعم الطفل الاجتماعي على التواصل، فهو يستمتع بالتحدث واللعب مع الآخرين، ولكنّه يجد صعوبة في التعبير عن نفسه بطريقة واضحة، وهذا يتطلب تعليمه طرقاً أفضل للتواصل مع الآخرين، وهذا يعتمد كبيراً على كيفية استجابات المربي لمحاولاته وجهوده في التواصل مع الآخرين (بعض الآباء والأمهات يعتبر حديث الأطفال مع الآخرين عيباً يجب إيقافه) ولكي يكون الطفل اجتماعياً يجب:

- الإنصات إليه بعناية وتقدير محاولات التواصل لديه.
- تفسير الرسالة التي يحاول الطفل إيصالها.
- الاستمرار في الحوار مع الطفل بجمل وتعليقات حول الموضوع الذي بدأ به.
- إشراكه في الأعمال اليومية التي تقوم بها الأم ومنحه وقتاً كافياً للمشاركة.
- التقليل من الأسئلة على أن تختصر لمحاولة معرفة ما يفكر الطفل فيه.
- إنَّ السعادة التي يشعر بها الطفل أثناء الحديث معه، تعدُّ دافعاً قوياً في استمرارية التواصل والمبادرة في الحديث.

٣- الطفل الذي له عالمه الخاص :

لا يبدي هذا الطفل أيَّ اهتمامٍ بمشاركة الآخرين، ولا يعرف كيف يشاركهم ويبدو منشغلاً فقط بما اختار هو أن يفعله، وكأنّه يقول إنّني أفضل

أن ألعب بمفردي، ولا يريد أن يشارك أحداً لعبته وبإمكاننا التعامل مع هذا النوع من الأطفال وفق الطريقة التالية:

- إيجاد طرق لجذب اهتمام الطفل كاللعب بفقاعات الماء مثلاً، أو الألعاب التي تتحرك وحدها كالبالونات واللعب بالكرة ـ دون إجباره على نشاط يرفضه.
- الجلوس وجهاً لوجه أثناء اللعب مع الطفل.
- الانتباه والملاحظة والتقبل لأيِّ محاولات للتواصل من قبل الطفل ولو كانت بسيطة كأن ينظر نظرة خاطفة أو يغير من وضع جسمه، أو أن يظهر تغييراً في تعبيرات وجهه أو صوته والاستجابة له فوراً.
- تقليد سلوك الطفل الحركي واللفظي لأنَّ في ذلك إظهار الاحترام والتقبل والحنان.
- إيجاد طريقة لمشاركة الطفل في أيِّ عمل أو نشاط يومي يحبه ويستمتع به.

ولتشجيع الطفل على تقاسم التجربة علينا أن:

- نمنحه الثقة بالنفس من خلال إعطائه الفرصة للقيام بالعمل الموكل إليه.
- الطلب إليه تنفيذ بعض المهام اليومية.
- نوليه القيادة في بعض المواقف.

ولتشجيع الطفل على الاستجابة وتبادل أدوار الحديث:

- عدم الغضب إذا تحدث بطريقة خاطئة.
- استشارته في موضوع النقاش.

- الطلب إليه أن يفكر في حلّ المشكلة.
- عدم الانشغال عنه حين يبدأ الحديث.

ولتشجيع الطفل على أخذ دوره في الحديث والاستمرار في التواصل لمدة أطول :

- نثني على رأيه عندما يقوله.
- لا نستخدم كلمة (لا) عندما أرغب في تصحيح خطأ وقع فيه.
- ننصت إليه عندما يتحدث دون مقاطعة.

أحد عشر- المراحل التي يمرُّ بها الطفل لتعلم الحوار مع الآخرين:

إنّ التواصل مع الأطفال يبدأ منذ الولادة وفرص التعلم تزيد مع مراحل النمو المختلفة فتنمو طرائق تواصلهم، وتزداد وضوحاً وقبولاً من الآخرين، وحينما يكون لدينا معرفة بمستوى مراحل نمو الطفل الذي نتواصل معه، فإنّ ذلك يساعد على السماح له بقيادة الحديث، وتكييف سلوكنا بحيث تتم المشاركة بيننا وبين الطفل لحظة التواصل وإضافة المزيد من اللغة والتجربة.

وهناك أربع مراحل يمرُّ بها الطفل ليتعلم التواصل والحوار مع الآخرين وهي:

- مرحلة الفعل غير الإرادي.
- مرحلة محاولة استكشاف البيئة المحيطة.
- مرحلة محاولة التفاعل مع الآخرين.
- مرحلة استخدام الكلمات والعبارات بشكل مترابط.

١- مرحلة الفعل غير الإرادي:

في بداية نمو الطفل تكون الابتسامة والصرخة والبكاء الذي يصدره الطفل عبارة عن فعل لا إرادي، وتحاول الأم تفسير الأصوات التي يصدرها الطفل. وكأنَّها تحمل معنى للتواصل، والحقيقة أنَّها لا تحمل سلوكاً إرادياً ذا مغزى معين أو يعبّر عن محاولات للتواصل مع الآخرين.

٢- مرحلة محاولة استكشاف البيئة المحيطة :

على الرغم من أنَّ الطفل ما زال لا يتواصل بشكل مباشر، إلاَّ أنَّه من السهل تفسير تعبيرات وجهه، ولغة جسده والأصوات التي يصدرها أثناء محاولاته استكشاف البيئة التي تحيط به.

وفي هاتين المرحلتين من التواصل، فإنك لك دوراً رئيساً في مساعدة الطفل على إدراك متعة التواصل ومدى أهميته، ولتنمية ذلك حاولي عمل ما يلي:

أ - قلّدي الأصوات والحركات التي يصدرها الطفل ثم أضيفي إليها شيئاً جديداً.

ب - استخدمي الإشارات والإيماءات حينما تتكلمين.

ج - قومي بتسمية الأشخاص، والأشياء التي يُظْهِرُ الطفل اهتماماً بها حتى تزيد من حصيلته اللغوية.

د - ركّزي وشدّدي على الكلمات الرئيسة والمهمة، وبالغي في إظهار تعبيرات وجهك، وتحدّثي ببطء وبجمل قصيرة وبسيطة، وحاولي معرفة ما الذي يفكر فيه طفلك.

هـ - حاولي في المرحلة الأولى إضافة معلومة جديدة قولي مثلاً (هذا عصيرك، اسمه عصير، عصير حلو) بدلاً من قولك ماذا تريد (على الأم قول هذه العبارات باللهجة المفهومة المناسبة).

و - حاولي في المرحلة الثانية إضافة معلومة جديدة أيضاً مثل (آه عصير، تريد عصيراً، عصير ممتاز) بدلاً من (إنّي أعرف ما تريد، سأحضره لك).

٣- مرحلة محاولة التعامل مع الآخرين:

تنمو لدى الطفل في هذه المرحلة الرغبة في الاتصال بالأشخاص المحيطين به لتعلّم التواصل والمخاطبة. ولذلك فإنّ محاولاته في التفاعل مع الآخرين تؤكّد أنّ مهارات التواصل لديه قد بدأت في الظهور، فهو ينظر إليك ليتأكد هل تعيرين اهتماماً للأشياء التي يهتم بها، وفي هذه المرحلة يظهر الكلام، كما يقوم الطفل بالإشارة إلى الأشياء والأشخاص ويستخدم الإيماء ويقوم باستخدام بعض الأصوات التي تعبّر عن بعض الكلمات.

ولتنمية هذا الحوار يمكنك عمل ما يلي:

- استمري في استخدام الخطوات المذكورة في المرحلتين الأولى والثانية.
- ركّزي على الكلمات القصيرة التي يستطيع الطفل أن يقلّدها وينطقها.
- أضيفي عبارات أطول قليلاً من العبارات التي يستطيع الطفل فهمها لكي يستطيع تعلّمها في هذه المرحلة.
- نوّعي المواضيع التي تتحدثين عنها، فتحدّثي مثلاً عن أشخاص، أحداث، أشياء، أماكن، أفعال تقومين بها أنت وطفلك معاً، مشاعر، صفات مثل: حار، بارد، ناعم، قاسٍ، كبير... إلخ.

- أضيفي معلومة جديدة، فبدلاً من أن تقولي، ماذا تريد؟ قولي: آه! عصير، أكيد أنك عطشان، إنّه عصير حلو.

٤- مرحلة استخدام الكلمات والعبارات المترابطة :

في هذه المرحلة يبدأ الطفل باستخدام الكلمات المترابطة، ولو كان من الصعب فهم ما يقوله في بعض الأحيان، وفي هذه المرحلة يجب أن تستمري في مساعدة الطفل على تعلّم وفهم وقول المزيد من الكلمات والعبارات. وفي هذا الصدد يمكنك عمل ما يلي:

- ركّزي على الكلمات المهمة والرئيسة، وضعيها في جمل قصيرة يمكن أن يقولها طفلك.
- أضيفي تعليقات أكثر طولاً بحيث يكون الطفل قادراً على فهمها.
- اربطي ما يقوله الطفل بخبرات وتجارب سابقة.
- تحدّثي عما سيحدث بعد قليل.
- استخدمي اللعب الخيالي مع طفلك (كأن تتقمّصي شخصية أخرى، أو أن تجعلي الدمية تقوم بأفعال يقوم بها الناس).
- أضيفي معلومة جديدة، فبدلاً من أن تقولي (هاك يا حبيبي... هذا عصيرك، وانتبه حتى لا يسقط)، قولي: هل تريد عصيراً، عصير التفاح هو عصيرك المفضّل، أنت تحب عصير التفاح.

وبهذه الطرق تضمنين إكساب اللغة والحوار الجيد مع أطفالِك.

اثنا عشر - أساليب فتح قنوات للحوار مع الأطفال في الروضة:

لا بدّ من توافر جو من الثقة بين الطفل ومحاوره وليس من السهل أن نكتسب ثقة الطفل لذلك نحتاج إلى شيء من الصبر مع تقبل الطفل وعدم

توجيه النقد إليه ومن الأساليب التي يمكن استخدامها لتفح قنوات للحوار مع الطفل:

١- الرسوم :

وهي تساعد الأطفال في التعبير عن مشاعرهم فمن خلال الرسوم يمكن للأطفال أن يعبِّروا عن تجاربهم ومشاعرهم التي لا يمكن التحدث عنها إلى الآخرين إلا بوساطة الرسوم. إذ يجب ألاَّ نمارس أيَّ تأثير على ما يرسمه الأطفال. بل نترك لهم حرية التعبير والرسم وعندما ينتهي الطفل من رسم الصورة يمكننا أن نطلب منه أن يتحدث عنها ولكن دون أن نضغط عليه ليفعل ذلك، فقد يفتح الرسم أمامنا طريقاً للحوار معه.

٢- استخدام الدمى والأقنعة :

إنَّ انتحال شخصية ما أو (لعب) دور شخص آخر يسمح للأطفال بإيصال أفكار ومشاعر، قد يصعب عليهم أن يعبِّروا عنها لولا ذلك. ويمكن أيضاً أن يختبئ الطفل أو الطفلة وراء قناع أو دمية أو يتحدث إلى دمية أو قناع يستخدمه الشخص الذي يساعدها دون أن يشعر الطفل بأنه يكشف عن مشاعره مثلما لو كان يتحدث بطريقة مباشرة.

٣- المسرح :

إنَّ المشاركة في تمثيل مسرحية يمكن أن تكون مفيدة لأنَّ الأطفال يستطيعون أن يبتدعوا قصة خاصة بهم لتمثيلها، أو أن يؤلِّفوا قصة تعبِّر عن شيء يهمهم بصفة خاصة. ويمكنهم أن يستخدموا الأقنعة لوضع مسافة بينهم وبين عواطف شخصيات المسرحية، ويمكنهم مثلاً أن يؤلِّفوا مسرحية

يستمدون أحداثها من تجاربهم، وأن يختبروا نهايات للقصص من أنواع مختلفة، محزنة، مفرحة، يمكننا بعد الانتهاء من العرض أن نناقش الأطفال ونحاورهم حول شعورهم تجاه المسرحية وتجاه النهايات المختلفة.

ثلاثة عشر - كيف نطوّر أساليب الحوار لدى الطفل:

تعد المحاكمة العقلية عند الطفل القادر عقلياً غير قابلة للكسر أو الوصف لأنَّه يتوصل إلى النتائج والخلاصات عن طريق التفكير المحض دون مساعدة من الآخرين، أو دون تدخل منهم أو استفادة من وجهات نظرهم، وتعدُّ هذه الميزة كثيرة المخاطرة بالنسبة له لأنَّها من المرجح أن تخلق له العديد من المعارضين والأعداء في حياة الرشد، ولذلك فإنَّ غرس أساليب الحوار في ذهنه، وتطوير احترامه لوجهات نظر العقول الأخرى عادية كانت أم متوسطة سوف يحدان من كراهية هذه العقول له، والسبب في ذلك هو أنَّ هذا الحوار كعملية معرفية يجعل المجموعة تفكر معاً وبأسلوب بناء من أجل التعلم وحلِّ المشكلات واتخاذ القرارات حول خطط العمل، وهكذا فإنَّه يجب تدريب الطفل على الأمور التالية وتعلمها:

١- إنَّ المشارك في حوار ما متعلم وليس معلماً.
٢- إنَّ الحوار عملية من عمليات التفكير التأملي وليست عملية تسويق لأفكار محددة وجاهزة سابقاً.
٣- إنَّ الحوار أسلوب من أساليب النقاش وليست أسلوباً عدائياً.
٤- من خلال الحوار يتحقق القبول والرضا وتحلُّ الصراعات والخلافات وتتطلب عملية الحوار الإيمان بالحقيقة وبالطبيعة الإنسانية الخيرة ويمكن تدريب الطفل القادر على الحوار من خلال مطالبته بالتفكير بشكل خلاق مثل:

❖ تقديم الاقتراحات دون الدفاع عنها.

❖ إضافة ما لديه من أفكار لمجموعة الأفكار المطروحة.

❖ تأجيل الحل حتى يتمَّ طرح جميع الأفكار.

إنَّ الحوار أحد الأساليب المستعملة لتطوير الوسائل الإبداعية لبلوغ المعرفة ولذلك ينبغي تعليم الطفل القادر والمشارك في حوار ما على ما يلي:

أ - الاستماع للآخرين من أجل معرفة مساهمتهم الإيجابية.

ب - نقل وجهة نظره الخاصة للآخرين بدقة ووضوح وبشكل بناء قبل استخلاص النتائج من وجهات النظر.

إنَّ قليلاً من التدريب على أسلوب الحوار المنسق، مثل استقبال الأفكار وتقبلها واستيعاب وجهات النظر الجديدة ونقل وجهة النظر الإيجابية ضروري في الحياة، ولكي يتمكن الطفل من نقل وجهة نظره ومشاعره في المناقشة يجب أن نقدّم له عروضاً في الأمور التالية بشكل تمثيلي من خلال توجيه الآباء له. وهي:

أ - التوازن الفعّال الذي يضمُّ الاستقرار والهدوء والاستعداد والاتجاه اللطيف والثقة.

ب - تلقي الأسئلة بموضوعية وعقلانية بحيث لا يجعل المعارضات شخصية ولا يلصق عواطفه أو دوافعه تجاه الاعتراضات المطروحة.

ج - تحاشي العديد من الإيماءات والحركات أثناء الكلام.

د - جعل الصوت مسموعاً بسهولة وجعله حراً من حيث نوعيته وصياغته بشكل يظهر المزاج والمعنى ويبرز شخصية المتكلم فعلاً.

هـ - الفعالية في الدقة والوضوح والتفصيل لأنّها تضم أساليب التمكن من زمام اللغة في التوسل و التوكيد معاً.

و - تنظيم الكلمات المنطوقة وفقاً للوحدة الزمنية وللإيقاع والتواصل وإن أفضل طريقة لتطوير قدرة الطفل على الكلام هي مساعدته في إلقاء الخطب من حين لآخر تحت إشراف الآباء مع أخذ الملاحظات المذكورة أعلاه.

ولن يكون الآباء قادرين على تطوير أساليب الحوار لدى الطفل إلاّ بعد أن يصل الطفل إلى مرحلة من النضج والنمو اللغوي وهي عادة بعد سن السادسة.

أربعة عشر - معوقات الحوار مع الطفل :

بعض الأطفال يعتاد التحدث إلى الكبار عن مشاعره ولاسيما مع الكبار الذين لا يعرفونهم جيداً، ويكون الحوار في البدايات بين الأم والطفل أو بين الأب والطفل أو المربي والطفل، وقد يجد الأطفال صعوبة في التكلم، ولكن بعض فترات الصمت أثناء المحادثة أمر طبيعي وعلينا تقبله بسهولة وهدوء وصبر ومن المعوقات التي تعطل الحوار مع الطفل:

١- لا نشجع على الحوار مع أطفالنا لأننا مشغولون عنهم بقراءة الجريدة ومتابعة المسلسلات.

٢- لا نشجع الحوار على مائدة الطعام.

٣- لا نسمح للطفل بالتدخل بحديثنا ومقاطعتنا.

٤- إسكات الأطفال بالسيارة وأثناء الحديث على الهاتف.

٥- مشكلات خاصة بالطفل تمنعه من الكلام (صمم - مشاكل نطق وتأخر في النمو اللغوي أو النمو العام، أو صعوبة التكلم باللغة المستخدمة).

٦- ردود فعل الطفل العاطفية القوية تمنعه من الحوار مع الآخرين بسهولة.

٧- السخرية من الطفل.

٨- عدم احترام معتقدات الطفل وطريقته في الحياة.

٩- الفشل في بناء جو من الثقة مع الطفل.

١٠- إظهار عدوانية تجاه الطفل.

هذه هي معوقات الحوار التي يجب علينا تجاوزها قدر الإمكان لأنه من الضروري جداً فتح قنوات للحوار مع الأطفال لما للحوار من فوائد على الصحة النفسية والعقلية للطفل.

وهذا يدفعنا للحديث عن الحوار والصحة النفسية والعقلية للطفل وسنتحدث عنه في الفصل القادم.

الفصل الثاني

الحوار والصحة النفسية للطفل

أولاً – مقدمة :

يرتبط مفهوم الصحة النفسية في أذهان الناس، بأنّه الخلو من الأمراض النفسية والعقلية، والانحرافات السلوكية الشاذة، وهذا في الواقع تحديد ضيق وغير كاف للصحة النفسية، فهي بالمعنى المطلق أمر نادر، وكما أنَّ الخلو من المرض الجسدي لا يعني تمتع الشخص بالصحة التامة مئة بالمئة، كذلك لا يمكن أن يعتبر الخلو من بعض الأمراض النفسية والعقلية والسلوكية دليلاً على الصحة النفسية السليمة.

هنالك معايير يجب أن تؤخذ بالحسبان عند حكمنا على الصحة النفسية وهي : مدى النضج الانفعالي والاجتماعي للفرد ، ومدى توافقه مع نفسه والمجتمع، ومعرفته التامة لنفسه، ما يستطيعه وما لا يستطيعه وتقدير نفسه حق قدرها، دون المبالغة في ذلك، أو الشعور بالدونية والنقص، كذلك النجاح في الحياة الاجتماعية والأسرية، والمقدرة على تحمل المسؤولية والتحلي بالشجاعة الأدبية ومواجهة الظروف بحكمة ورباطة جأش دون اضطراب أو خوف أو انهزام مع الصلابة والثبات في الموقف. وأن يكون له وجهات نظر ثابتة يؤمن بها هذا الشخص ويدافع عنها، ويحاور بروح رياضية وبموضوعية.

والصحة النفسية في جوهرها مسألة نسبية، وليست مطلقة فالفرد السوي يخاف ويشك ويثور، ويغضب وينفعل ويفرح ويحزن، والتكيف المطلق أمر لا يمكن تحقيقه.

والإنسان المتمتع بالصحة النفسية هو الإنسان المتكيف مع الواقع، وعملية التكيف عملية مستمرة. وهي ضرورة للمحافظة على الصحة النفسية وتقوية الوظائف الفعلية ليستطيع الفرد مجابهة مصاعب الحياة.

أما معنى الصحة النفسية فيمكن أن يشار إليه بأنّه التوافق التام والتكامل بين الوظائف النفسية المختلفة مع القدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية التي تطرأ عادة على الإنسان مع الإحساس الإيجابي بالسعادة.

ويرى علماء آخرون أنّ الصحة النفسية «حالة دينامكية تبدو في قدرة الفرد على التوافق المرن الذي يناسب الموقف الذي يمرُّ به أو يخبره».

ويمكن القول إنّ الصحة النفسية هي التوافق التام مع الذات ومع المجتمع، وهذا أمر على درجة من الصعوبة، لأنّه ليس هناك من إنسان يستطيع تجنب الوقوع في الخطأ مع الآخرين، حتى مع ذاته، فكم من المرات نسيء فيها تقدير ذواتنا أو نتصرف تماماً كالمصابين بأمراض نفسية أو عقلية، وذلك تحت تأثير الانفعال الشديد. هذا كلُّه يطرح مسألة نسبية الصحة النفسية، ثم إنّ اختلافات السلوك من مجتمع إلى آخر، تجعل من السلوك السوي في بلد ما سلوكاً شاذاً في بلد آخر، وذلك يعود بنا إلى ارتباط الصحة النفسية بالزمان والمكان أو البيئة الاجتماعية. أو لم تكن هناك عادات وتقاليد محترمة ومرموقة، وذات دلالة على القيم الرفيعة الممتازة وأصحابها يوسمون بأنّهم من نخبة وأفاضل القوم، يوصفون اليوم بالرجعيين والتقليديين والمتأخرين، وما شابه ذلك من النعوت القاسية الظالمة.

ثانياً - دور الحوار في الحفاظ على صحة الطفل النفسية:

- مظاهر الصحة النفسية للطفل :

من مظاهر الصحة النفسية للطفل قدرته على التكيف الاجتماعي مع الوسط المحيط به، وقدرته على إقامة علاقات اجتماعية ناجحة مع هذا الوسط، مع شعوره بالرضا عن ذاته. ويأتي شعور الطفل بالرضا عن ذاته من خلال قيامه ببعض الأعمال البسيطة الناجحة التي تتناسب وقدراته الذهنية والجسدية، ومن مظاهر الصحة النفسية للطفل أيضاً بداية تمثله لبعض المفاهيم الأخلاقية كالصدق والأمانة.. إلخ، ومدى انسجام سلوكه مع الأخلاق الكريمة وتمتعه بإرادة قوية واتزان انفعالي يتمثل بقدرته على ضبط انفعالاته بشكل مقبول اجتماعياً وثقة عالية بالنفس وبالآخرين وقدرة على تحمل المسؤولية وخدمة نفسه بالأعمال التي تتناسب مع قدراته وعمره الزمني.

يقترح علماء النفس مجموعة من الشروط تسهم في المساعدة على الحفاظ على صحة الطفل النفسية منها:

١- معرفة النفس :

يجب أن يتعرف الطفل قدراته وحجمها وطاقاته ومواطن عيوبه وضعفه، فعلى أساس الصدق مع الذات والمعرفة الدقيقة لها يحدد طموحاته، وعلينا أن نساعد الطفل على تعرف قدراته وطاقاته وعيوبه، وقد يكون الحوار أحد هذه الأساليب فهو كثير التساؤل عن هذه الأمور، إذ يسألنا باستمرار هل أستطيع أن ألمس السماء أو أمسك الغيوم أو يسأل عن تحقيق هدف آخر علينا أن نحاوره لجعله يواجه الأمور بشجاعة وواقعية ويركِّز على هدف معين دون أن يتشتت ذهنه وتتوزع طاقاته وترهق نفسه.

٢- التركيز على الحاضر:

قد يكون الماضي مؤلماً، فقد يمرُّ الطفل بتجربة مؤلمة بالنسبة إليه، والشخصية السليمة هي التي يستطيع صاحبها التعاطي مع (الماضي - الحاضر - المستقبل) بطريقة موضوعية وواقعية وهنا لابدَّ من محاورة الطفل لنعلمه أنَّ الماضي نأخذ منه العبرة والدروس، وأنَّ ما فات مات، وشحن الذهن والأعصاب بطموحات كبيرة واستعجال حركة الزمن التي تجري وفق نظام دقيق، قدره الله لها، فهو أمر مرهق ومتعب للنفس وللأعصاب، ويثقل الحاضر بهموم إضافية يمكن التفكير في المستقبل ولو كان ذلك عن طريق أحلام اليقظة لبعض اللحظات. فهذه ظاهرة صحية لكن على ألا تستغرق كثيراً في هذه الأحلام إذاً علينا أن نحاور الطفل في ذلك حتى لا يتحول الأمر إلى حالة مرضية، فالتفكير في المستقبل هو فقط من أجل التفاؤل والدافعية، لذلك علينا أن نحاور الطفل لنركِّز على الحاضر الذي يجب علينا أن نتعاطى معه بصحة نفسية سليمة وعقل راجح. وأعصاب متينة وبذلك تتحقق أهدافنا التي نطمح إليها.

إنَّ حوارنا مع الطفل يفهمه أنَّ الحاضر سيضاف بعد وقت قليل إلى الماضي، فما هو اليوم حاضر، سيصبح ماضياً في الغد، ويضاف إلى صيغة الماضي في التصنيفات، ويتحول إلى ذكرى، فلتكن ذكريات سعيدة مشرقة لا ذكريات محزنة ومحبطة، أمَّا المستقبل فهو الآخر من صنع أيدينا لأنَّه بإتقاننا للعمل في الحاضر، وسلوكنا السوي في الحاضر نحقق المستقبل الأفضل والغد المشرق لأنفسنا ولمجتمعنا فمن الضروري جداً أن نحاور الطفل لنفهمه إصلاح الأزمنة الثلاث (الماضي - الحاضر - المستقبل) وذلك للحفاظ على صحته النفسية.

٣- النظرة الصحيحة إلى النجاح والفشل :

النجاح والفشل أمران حتميان في الحياة، وهما متغيران، فلا نجاح دائم، ولا فشل دائم في هذه الحياة، إنَّ الطفل عاجز عن اكتشاف ذلك بمفرده علينا محاورته لنجعله يفهم أنَّ النجاح الدائم شيء مستحيل وأمر مبالغ فيه، وإفهامه أنَّ الفشل ليس حليفاً دائماً للإنسان، إنَّ الحياة مليئة بالنجاحات والإحباطات، إنَّ خبرة الطفل ما زالت قليلة، فهو لن يكتشف هذه الأمور بنفسه إلا بعد خبرة طويلة، لذلك علينا مساعدته على معرفة حقيقة مهمة جداً ألا وهي الهروب من أمر خشية الفشل هو أسوأ من الفشل نفسه. والذي يفعل ذلك فإنَّه يؤذي صحته النفسية بما هو أشدُّ مرارة من الفشل دون أن يدري. إنَّ الحوار مع الطفل يفهمه أنَّ الإنسان حين يقبل على عمل ما عليه أن يهيِّئ نفسه للفشل والنجاح، وأنَّ عليه أن يكون شجاعاً في مواجهة النتائج مهما كان نوعها، ولضمان النجاح يجب تحديد الهدف بوضوح ودقة إذاً الحوار يفهم الطفل حقيقة مهمة جداً، وهي أنَّ ترك الأمور تحت رحمة المصادفة والحظ يمنع سلامة اتخاذ القرار المناسب الصحيح.

٤- المسالمة، وطريقة حلِّ المشكلات:

المسالمة لا الاستسلام، الصبر على المصاعب وانتظار جلاء الأمور وصفائها. وترقب الظروف المناسبة وفي الأقوال المأثورة: الصبر صبران: صبر على ما تحب، وصبر على ما تكره، فنحن ضعفاء أمام الأقدار الكبيرة فكيف للطفل أن يدرك ذلك إن لم نحاوره بمستوى عقله وتفكيره ليدرك ذلك. فعن طريق الحوار نعلِّمه كيف يحلُّ مشكلاته بطريقة واقعية تتوافق مع الظروف الزمانية والمكانية، وأية حلول خيالية أو مثالية لا يكتب لها النجاح إذا لم تأخذ بالحسبان هذه الأمور مجتمعة.

٥- ضرورة وجود الصديق:

الأقوال التي قيلت في الصديق، في كتب الأدب كثيرة، وهي لا تحصى، وكلُّها تشيد، وتلحُّ على ضرورة اتخاذ صديق، فالصداقة ضرورية بين الأطفال لأنَّها تدعم خبرتهم، وتعدُّ مخزن أسرارهم، فالأطفال يتحاورون بعضهم مع بعض، وصداقاتهم قد تكون قوية بقوة صداقة الكبار وأكثر، وهي صداقات بريئة تفرج عنهم همومهم. إنَّ صداقة الأطفال بعضهم مع بعض أمر ضروري للنفس كضرورة دعم أجسامهم الفتية بالفيتامينات، ومن الوجهة السيكولوجية التحليلية حديث الأطفال بعضهم مع بعض وشكوى همومهم الصغيرة ومشكلاتهم بعضهم لبعض نوع من التفريغ للشحنات الانفعالية التي ستتحول إلى مكبوتات تستقر في اللاوعي لولا وجود الصديق، فالطفل يسعد بوجود طفل صغير مثله يتحاور معه ويفضي له فيكون بالنسبة إليه طبيباً نفسياً يصغي إليه بأذن المحب.

٦- ممارسة الترويح عن النفس:

النفس تحتاج إلى الراحة، كما يحتاج الجسم إلى الراحة، كيف لا، والإنسان يشكل بكينونته هذا الترابط العضوي الوثيق بين النفس والجسم، وعملية الترويح تشمل النفس والجسم معاً، لذلك يجب تخصيص يوم في الأسبوع للترويح عن النفس من هموم ومتاعب الأيام السابقة. والاستمتاع بالطبيعة وبالهوايات المفضلة، إنَّ تأمين بيئة للطفل تسمح له بالترويح عن النفس أمر ضروري، فخروج الطفل إلى الطبيعة يفسح له مجالاً للحديث مع

الكبار وسؤالهم والتحاور معهم شريطة أن تكون لدى الطفل رغبة في ذلك، إنّ إعطاء الطفل فرصة لممارسة هواياته يجعله يخفف من توتره النفسي فعندما يرسم الطفل يطلع أهله على ما رسم، ويحاورهم برسومه شارحاً لهم أسباب اختياره أنواع رسوم معنية وأسباب تلوينها بألوان معينة، وهنا على الأهل الاستفادة من هذه الفرصة للحوار مع الطفل للتعرف إليه أكثر ومساعدته في الترويح عن النفس.

ولنحافظ على صحة أطفالنا النفسية علينا أن نحاورهم باستمرار بأسلوب علمي بعيد عن التهكم والسخرية، وذلك لغرس الثقة في نفوسهم، وإعطائهم شعوراً بالاستقلال ولدفعهم للمبادأة، وهذه تتمثل بالتعلم ولفت النظر وحب الاستطلاع والرغبة في تحقيق الخيار على أرض الواقع مع عدم الشعور بالإحباط، وعدم الإحساس بالذنب، ولا بدَّ من تشجيع الطفل باستمرار ليشعر أنّه قادر على الإنجاز، وليشعر بهويته ويتآلف مع محيطه، وينشئ علاقات مع أقرانه. إنّ حوارنا مع الطفل يعرفه بنفسه أكثر، فها هو سقراط يقول: اعرف نفسك، وإذا حاول الطفل أن يهرب من مواجهة مشكلة ما علينا أن نحاوره لنتعرف على الأسباب لنفهمه من خلال الحوار أن الهرب لا يحلّ المشكلة بل يؤّجل حلّها على أن يساهم حوارنا معه في حلّ المشكلة، ويساعده على المواجهة.

إنّ للأسرة دوراً كبيراً في مساعدة طفلها على وضع أهداف محددة سهلة واضحة قابلة للتحقيق وذلك من خلال الحوار معه، وإفهامه أن ما يريد فعله يجب أن يتناسب مع قدراته حتى ينجح والنجاح يساعد على النجاح.

إنَّ مصارحة الطفل أمر مهمّ جداً يسهم في نجاحه في عمله، فحوارنا يعلِّم الطفل أشياء كثيرة، فهو يساعده على التركيز على الواقع اليومي المعاش وحصر نشاطاته في أعمال تطبيقية متعلقة بالبيئة.

ومما سبق نستنتج أنَّ الأسلوب الكلامي (الحوار) هو من أساليب العلاج النفسي، ويتوقف نجاح هذا الأسلوب على نوعية الكلام وطريقة الحديث والتي لها دورها البارز والمهمّ، فللكلمات قوة سحرية في تغيير وجهة نظرنا إلى الأشياء، والألفاظ تأتي أحياناً بنتائج عكسية والكلام الكثير قد يزيد الموقف تعقيداً لذلك ننصح الأهل عند الحوار مع أطفالها:

أ- أن ينطلقوا من أرضية تربوية ونفسية جيدة وأن يتوخوا الموضوعية، لا أن يأخذوا بظواهر الأمور دون التطرق للجوهر.

ب- النبرة الصوتية يجب أن تكون معتدلة، وهادئة ومعبرة.

والحوار مع الطفل في معالجته علاجاً نفسياً سوياً فإذا تحققت شروط الحوار اسهمت في إزالة الاضطرابات النفسية لديه التي تعيق نموه وتكيفه وتحصيله العلمي ويساعد الحوار أيضاً في تعديل نظرة الطفل إلى ذاته وإلى الآخرين دون تطرف وينفِّس الطفل عن انفعالاته ويهتمُّ بسلوكه وينظِّمه إضافة إلى أنَّه يفهم حاجاته ورغباته، ويتعلم كيفية إشباعها ويزداد الشعور بالأمن لديه.

وليس سراً إذا قلنا إنَّ الآباء الذين يتمتعون بصحة نفسية سليمة تزداد قدرتهم على مواجهة مشكلاتهم ومشكلات أطفالهم التي هي في الوقت نفسه مشكلاتهم، عملاً بالقول (فاقد الشيء لا يعطيه) لذا يجري الاهتمام بصحة الأهل النفسية من أجل صحة الأطفال النفسية.

ثالثاً - الحوار والوعي :

١- الحوار والوعي :

التربية - على أعبائها الكثيرة والكبيرة - معنية بنشر الوعي، ولا يمكن خلق جيل واع ما لم تقم التربية بدورها الفاعل في تنشئة الفرد تنشئة واعية ليكون فرداً واعياً، ولعلَّ مجمل الآثار الإيجابية للنموذج الواعي، والآثار السلبية للنموذج المتزمت تعود إلى طبيعة التربية التي خضع لها كلٌ منهما.

ومهمة نشر الوعي تحتل مكانة مهمة في عصرنا الحالي عصر المحطات الفضائية فنحن نعيش عصراً غدت الحروب الإعلامية أكثر ضراوة من الحروب التقليدية، فتشويه الإنسان ليس مجرد قتل الفرد، إنّما هو قتل للمجتمع الذي ينتمي إليه، لأنَّه يمارس أدواراً هدَّامة، وينقل العدوى لغيره باستمرار.

وتنمية الوعي مهمة تربوية أصيلة، لما لها من دور فعَّال في تأسيس الالتزام الاجتماعي والإنساني المرموق، فالتربية مسؤولة عن تشكيل الوعي والحوار أسلوب من أساليب تشكيل هذا الوعي، وكلُّ ما يشاهده الطفل أمامه يجعله يضع آلاف إشارات الاستفهام ويأتي الحوار ليوضِّح له كلَّ الصور التي تمرُّ أمامه، فيسهم في بناء أساس الوعي الذي يجعل الطفل قادراً على التفاعل مع كلِّ ما ينبع من مجتمعه أو يُصدر إليه من المجتمعات الأخرى تفاعلاً مثمراً وإيجابياً.

ومن السائد في مجتمعاتنا في مجال تربية الطفل سواءً أكانت (تربية شعبية أو مؤسساتية، شفهية أو كتابية، نظرية أو عملية) أنَّ الطفل يُلقَّن الفكر بطريقة لا تسمح له بالتفاعل معه، بل مجرد ترديده ضمن طابع إيديولوجي، وفي قالب من الثوابت التي تحجِّره وتمنعه من مناقشتها مما يجعله مفتقداً

للعقل التحليلي المتفاعل (الانتقادي)، ويضعه في إطار العقل التجميعي المنفعل أو الانفعالي (التابع).

والعقل التجميعي عقل تابع هش، لا يمتلك مقومات التفكير التحليلي العميق والرؤية المتبحرة، بل يعاني من قصور لازم في التحليل والتفكير، وتكون السطحية وأشكال التزمت والانفعال سمات أساسية من سماته.

وطفل اليوم لا غنى له عن التلفاز وبرامجه، وطفل اليوم إذ يحجر عن هذا الجهاز ويمنع سيكون نموه ناقصاً على الأقل من الناحيتين الفكرية والاجتماعية ولكن التربية تؤدي دورها في محاورة الطفل بما يقدَّم له لتنشئته تنشئة ثقافية تزرع حب الانتماء للوطن، ولتوضع له كل ما يقدم له ليتبنى منه ما يناسب ثقافتنا ويطلع من خلاله على الثقافة الأخرى، وبذلك يكون للحوار دورٌ فاعلٌ في تنمية الوعي عند الطفل.

٢-.الحوار والإدراك :

يسهم الحوار بشكل فعَّال في النمو العقلي للطفل:

الإدراك: يعرف قاموس لالاند الفلسفي الإدراك على أنَّه الفعل الذي ينظم للفرد إحساساته الحاضرة مباشرة ويفسّرها ويكمّلها بصورة وذكريات، ويبعد عنها قدر الإمكان طابعها الانفعالي أو الحركي، مقابلاً نفسه بشيء يراه بصورة عفوية متميزاً عنه وواقعياً ومعروفاً لديه في الآونة الأخيرة.

ومما سبق نرى أنَّ الإدراك حكم مستند إلى تجربة. والإدراك كعملية معرفية هو نتيجة لتربية طويلة تشترك فيها التجربة مع العقل والمجتمع مع الفرد، وتصبغ ثقافة المجتمع على المدركات حلّة اجتماعية وثقافية تتمثل في

التوفيق بينهما وبين ما يوافق الآخرين. فتمييز الأشياء يتعلق باهتمامات الجماعة وتؤدي الأوامر والنواهي الاجتماعية دوراً حاسماً في ذلك، فتدرك هذا الشيء على أنّه ذو سمة قدسية، وذلك الشيء على أنّه محظور أو ما شابه ذلك. ولا يكتفي المرء باستعارة صفات وخصائص للأشياء من حوله تتوافق مع ما تواضعت عليه الجماعة، بل إنّه يسعى للتوفيق بين مدركاته الخاصة وما يوافق الآخرين. وتؤدي اللغة دوراً رئيساً في عملية الإدراك لأنّها تساعد على المقارنة بين الأشياء وتمنحها صفات تطبعها كلُّ لغة بطابعها المميز واللغة ضرورية لإنشاء حوار والحوار ضروري لعملية الإدراك إذ يساعد على نموه نمواً فعالاً. لذلك علينا ألاّ نضيق بأسئلة الطفل التي يطرحها بلا ملل، والإجابة عنها إجابات صحيحة تتناسب مع سنه بحيث يكون باستطاعته استيعابها، ومن المجدي إتاحة الفرص للطفل لوضع فرضياته لحلِّ المشكلات التي تعترضه وإفساح المجال له ليتحقق من صحتها بنفسه. وعلى الكبار أن يتعلموا مهارة الإنصات والاستماع إلى ما يرويه من حكايات وقصص، والأخذ بيده كي تنحو هذه الحكايات منحى واقعياً قدر الإمكان. وفي حال سرد الحكايات والقصص من قبل الكبار وتوجيهها له أن تكون غير مفرطة في خيالاتها، وغير بعيدة كثيراً عن الواقع وفي سن المرحلة الابتدائية حين تصبح قدرته على الفرز الإدراكي واضحة بحيث تتزايد باستمرار ويصبح قادراً على إدراك التمايز والتشابه بين الأشياء، كما أنّه يصبح بالتدريج قادراً على ملء الفراغات الإدراكية، إضافة لتزايد قدرته على اكتساب خاصية التفكير النسبي والمقارنة والتمييز بين الأشكال المتقاربة ولعلَّ أهمَّ ما يتميز به الإدراك في هذه المرحلة الأخيرة من الطفولة قدرة الطفل على إدراك الزمان وأجزائه ووحداته.

٣- الحوار والتخيل والإبداع :

قد يلاحظ الآباء والأمهات أنَّ أطفالهم يتحدثون مع أنفسهم، ويتكلمون مع ألعابهم، وكأنهم أشخاص لهم أسماء وملامح إنسانية.

إنَّها ظاهرة طبيعية لا تستدعي القلق، وتحدث في السنوات الأولى من العمر من سن الثالثة حتى الثامنة لأنَّ مخ الطفل في مرحلة التكوين لا يفصل بين الحقيقة والخيال، ويتعايش الطفل مع الخيال بسهولة أكبر من الواقع، ويشعر أنَّ الألعاب تكون طوع أمره بعكس الأصدقاء ويمكن للآباء أن يشجعوا أبناءهم تدريجياً على رسم ما يتخيلونه على الورقة والتعرف منهم على الصفة الشخصية لهذا الرسم وكل لعبة في خيالهم وأن يبدؤوا تدريجياً بتحويلها إلى واقع، ويمكن التعامل معه سواء من خلال خبرات حقيقية أو قصص مكتوبة أو أفلام شاهدها الوالدان أوالقيام بمساعدة الطفل في تمثيل خياله فتحول هذه الفترة التخيلية إلى إبداعات يمكن إظهارها والتعامل معها دون خوف.

والطفل عندما يحسُّ بكلِّ ما حوله وبعد أن تنمو لديه الحواس في سن مبكرة يبدأ بتفحص العالم المحيط به بقصد التعرف عليه وعلى كلِّ ما يحتويه وهنا لا بدَّ من ديناميكية الطفل وحركته ونشاطه وأنَّ الطفل الهادئ والقليل الحركة إنَّما هو طفل يفتقر إلى الحيوية، وبالتالي إلى الحياة وإلى الحركة والنشاط والديناميكية، وإلى كلِّ ما يجعله طفلاً متكاملاً، لأنَّ الحركة والانطلاق تجعل المعلومات سائغة يلتقطها الطفل وهو في حالة المرح والسرور، وتجعل عقل الطفل مستعداً لاقتناص كلِّ فكرة، وهو منهاج من مناهج تقوية الشخصية. كما أنَّ الطفل القليل الحركة والهادئ جداً يحتاج

بالتأكيد إلى عناية خاصة وعاجلة، ويجب أن نجعله يقفز ويتحرك، ويتكلم مع نفسه، لأنّه يحتاج إلى مداعبة وتحريك من وقت لآخر، ومن الضروري أن نجعله يتحدث عن نفسه عمّا شاهد وسمع عن كلّ الحيوانات والأشخاص وبمعنى آخر يحتاج الطفل الساكت والهادئ جداً أن نغرقه في الحياة، وأن نغرق الحياة فيه، وأن نغمره بالمرح والدعابة والانطلاقة. إنّ حركة الطفل ونشاطه مرحلة ضرورية لاستمرار النمو من جهة، وليتخلص الطفل من التوترات التي تعوق نموه النفسي من جهة أخرى وعندما يلعب الطفل ويتحرك فإنّه يبذل جهداً، وتعمل عضلاته، ويعبّر عن ذاته من خلال الحركة ويمارس الطفل المهارات التي تعلمها ويثبتها، كما يتعلم مهارات أخرى تعينه في حياته، وعلى سبيل المثال عندما يلعب الطفل بالكرة يتعلم ويمارس المهارات اليدوية والبصرية والفكرية مما يساعده مستقبلاً في الاعتماد على نفسه، وعندما يشترك الطفل في جلسات السمر والنشاطات التربوية يتعلم حب الجماعة والتعاون والإخاء والولاء للمجموعة. والطفل الهادئ جداً والساكن يفتقد الكثير في طفولته مما يؤثر عليه في مستقبل حياته علماً بأنّ قدرات الطفل على اللعب تتطور وتنمو، معه فهو عند الولادة لا يملك القدرة على اللعب، ولكن بتشجيع من الأم التي تمدّه بالحب والحنان والأمان يبدأ في استكشاف ما حوله من ألعاب، والوالدان هما أول من يمدّ الطفل بالأفكار لكي يبدأ باللعب والتحدث.

وعلى الوالدين البحث دائماً عن الصفات التي يتميز بها الطفل المبتكر ويحاولان أن ينمياها بشتى الطرق، مثلاً قدرته على حلّ مشكلات تتحدى تفكيره بأسلوب جديد، فهي ميزة يتميز بها الشخص المبتكر، ويمكن تنميتها تدريجياً بأن نعطيه مشكلة يستطيع حلّها، ثم مشكلة غريبة عليه ولكن على

قدر مستواه. إنّ مجال تفجير طاقات الأطفال وتنمية مواهبهم مهم جداً، وبعض الناس يظنون أنّه إذا حقق الطفل في تعبيراته الذاتية مستوى أعلى من سنه دلّ ذلك على أنّه موهوب وأنَه كلما ضحى بطفولته في سبيل اكتشاف مواصفات سن أعلى دلّ ذلك على مقدرة ونضج مبكر. والحقيقة أنّ الطفل الذي لا يعيش سنه يحرم من مقومات هذا السن، وإذا ألزمنا هذا الطفل بمقومات السن الآخر يفقد شخصيته ويرسم الرسوم المفتعلة ولا شك أنَ السن له طبيعته المميزة.

ويشير الدكتور أحمد السعيد في كتابه (طفلك في عامه السادس) أنّ الطفل يتحدث كثيراً مع نفسه، ويتحدث معنا وإن كان لا ينتظر عادة الرد أو التعليق. ولكن مع نموه فإنّه يصبح قادراً أن يتكلم معنا دائماً وينتظر الردّ أو التعليق على ما يقوله، كما يقلل من الكلام مع نفسه، ويصبح كلامه موجهاً إلى شخص يراه، ومع قدرة الطفل على استعمال الكلمات، ولأنه مقلّد كبير فإننا سنجد أنّه قد يستعمل كلمات جارحة وبذيئة تقليداً لزملائه، وكذلك قد يقلّد الطفل لهجة معينة حسب المحيطين به والواقع أنّ المدرسة هي المكان الذي يتعلم فيه الطفل، وينمّي مداركه ومعلوماته المختلفة، ولكن المكان الأساسي الذي تتشكل فيه قدرة الطفل على التعلم هو المنزل والأفراد المؤثّرون فيه هم الأهل أكثر بكثير من المدرسات والمدرسين، فقد لوحظ بأنّ المنزل والأهل هم العنصر الفعّال في تنمية القدرات العقلية للطفل وتفتيح مداركه الذهنية بينما المدرسة والمدرسات هم العنصر الذي يعطي الطفل الفرصة للتعلم ويثير اهتماماته المختلفة. فالطفل الذي ينشأ في أسرة مترابطة يتحدث أهلها كثيراً فيما بينهم، ويتناقشون في مختلف الأمور أمام طفلها، وتحيطه بالرعاية والحنان. هذا الطفل عادة يكون مستوى ذكائه وقدرته على تحصيل العلم أعلى

بكثير من الأسرة المفككة الصامتة، التي لا تعطي طفلها فرصة المناقشة والكلام. ولكن يحسن هنا أن نوضّح أنّ كثرة الكلام والمناقشة يلزم لها أن يشارك الطفل فيها ولو بكلمة، وأن يسمح له بالكلام بين أفراد الأسرة الأكبر منه، وأن يعبّر عن رأيه، فالأسرة كثيرة الكلام التي تمنع الطفل من الكلام معها لأنّه صغير ولا يفهم شيئاً وتكثر من تأنيبه على كلّ ما يقول بدلاً من تشجيعه فإنّها تحوّل صغيرها إلى طفل منطوٍ حتى في المدرسة نتيجة لإحساسه بالنقص وعدم الكفاءة.

الفصل الثالث

أسئلة الأطفال

(أسبابها - أهميتها - بداياتها)

أولاً - مقدمة :

تتضمن الطفولة سلسلة من الفترات أو المراحل التي تمتلك كلٌ واحدة منها ميزاتها أو خصوصياتها، ولكنَّ النمو عملية مستمرة تشبه وضع حجر فوق حجر في بناء ما وتضم نمو الحواس والدافعية والعاطفة والذكاء.

وتعدُّ اللغة الوسيلة الرئيسة للاتصال، تتطور بشكل مدهش في السنة الثانية من العمر، لذلك تستطيع الأم التي تتكلم أكثر من غيرها مع طفلها، من خلال الانتباه لطفلها واللعب معه أن تقدِّم أفضل تعليم للغة الأم. ويستطيع طفل الثانية من العمر أن يكوِّن جملاً قصيرة مكونة من كلمتين أو ثلاث كلمات، ويبين الخبراء أنَّ الطفل في عمر الثانية يعرف مئة أو مئتي كلمة، وفي سن الثالثة يستطيع أن يصف صورة، وأن يستعمل ضميراً أو أداة تعريف، ويتمكن من طرح أسئلة يستعمل فيها متى؟ ولماذا؟. وهنا يبدأ سن التساؤل، وتعدُّ غريزة التفحص والتدقيق من أهمِّ وأكبر النعم الإلهية، والشيء الأهمُّ هو

الاستفهام وطلب فهم الروابط بين العلة والمعلول التي تمهّد للاكتشافات، والإبداعات والاختراعات.

وتعدُّ فترة الطفولة فترة التفحص والسؤال. فالطفل يبدأ بتعرف الموجودات من الطفولة عن طريق البصر، السمع، المذاق، اللمس، والشم، وفي سن الثانية أو الثالثة يبدأ بالسؤال وبه يكتسب المعرفة.

فالسؤال والجواب مع الأطفال له أصول وضوابط ومن الضروري أن تهتم الأسرة والمربون بنوعية سؤال الطفل وأهدافه. وكذلك يجب أن يعرفوا كيف وإلى أي حد يجب أن يجيبوا عن السؤال، وتحت أي شرائط وكيف، وهذا بحث مختصر في هذا المجال.

ثانياً - لماذا يتساءل الأطفال :

إنَّ رغبة الطفل في تعرف الأشياء والأشخاص والمواقف، هي التي تدفعه إلى السؤال، فالطفل يطلب المعرفة والفهم، وتتغير تساؤلات الطفل في كلّ مرحلة من مراحل عمره، فالطفل لا يكفُّ عن التساؤل منذ بداية السنتين إلى أن يصل إلى العاشرة أو أكثر قليلاً، هذا التعطش للمعرفة يبيِّن حيرة الطفل وعدم فهمه الأمور وقد يعبِّر عن مخاوف وقلق...

ولكن الأغلب يكون هدفه من السؤال حب الاستطلاع.. وميل لاكتساب المهارات المختلفة والمعارف... ورغبته في إظهار مقدرته اللغوية وبيان مداركه العقلية... وبمجرد نمو قدرات الطفل على الفهم والتفكير والسيطرة على الكلام يبدأ في التساؤلات.. وفي السنتين الثانية والثالثة يكون تساؤل الطفل عن صور تثير انتباهه... أشياء غريبة لا يعرف لها تفسيراً. أناس يراهم للمرة الأولى ثم تتطور أسئلته لتدور حول مواقف يمرُّ بها إلى أن تأخذ

شكلاً محدداً، ويبدأ في تساؤلات عن مواضيع مختلفة... عميقة أو حرجة قد يصعب على الأهل الإجابة عنها... أو قد يثير لديهم شعوراً بالقلق والخجل.. وذلك يدفع الأهل إلى التهرب من الرد عن تلك التساؤلات .. أو يجيبون عنها إجابة بعيدة عن الحقيقة..

أو يطلبون من الطفل الكفَّ عن طرح الأسئلة، وهذا من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الآباء والأمهات والقائمون على تربية الطفل....

فإن تعمَّد تأجيل الإجابة أو عدم الإجابة عنها بدون إبداء الأسباب يترك أسوأ الأثر في نفسية الطفل ويولد لديه شعوراً بالذنب إذا كان السؤال محرجاً، وكذلك يؤدي به ذلك الإهمال إلى فقدانه الثقة في والديه ومربيه.

ويؤدِّي فقدان الثقة إلى تزعزع القيم عنده والإيمان بمن يعتقد أنهم مرجعه عند الحاجة للمعرفة... فالطفل يطرح الأسئلة الكثيرة والتي تحيره على من يثق بهم فالأب والأم والمعلم في نظر الطفل قاموس مليء بالمعرفة والعلم... فهم بالنسبة له المصدر لكلِّ شيء... والمعرفة في مقدمة الأشياء التي يتوقع الطفل الحصول عليها منهم... فإذا خاب ظنه في هؤلاء كلِّهم قد يلجأ إلى من يجيب عن تساؤلاته في أيِّ مكان آخر، وقد يحصل على الإجابة الخاطئة والضارة في الوقت نفسه ... وبذلك نتسبب نحن الكبار وبدون قصد في إيذاء صغارنا... وقد يؤدِّي بهم إلى الانطواء والمعاناة من الحيرة أمام تساؤلات ومشكلات لا يجدون لها حلاً أو جواباً.

ونخلص مما سبق إلى أنَّ الطفل يسأل للكشف والتحقيق حول بعض المسائل المحيطة به ونقصد معرفته للعالم وأبعاده وكيفية الأشياء والموجودات والمسائل والمشكلات الموجودة، ومعرفة خلقته وخلق الله وأوجه التشابه

والاختلاف بين الموجودات وعلة اختلافها وتفاوتها ومعرفة روابط الأشياء والموجودات وأسرارها ومعرفة وظائفه وواجباته ونفسه، وسر اختلافه مع الآخرين ودوره في الأسرة.

وقد يسأل الطفل ليسلِّي نفسه إذا كان يشعر بالملل، ويحاول أن يجذب انتباه والديه إليه، وخاصة عندما يسأل دون أن يستمع إلى الإجابة، ولا يلقى أذناً صاغية، أو رداً على استفساراته وتبرز من خلال أسئلته ـــ حالته الداخلية.

ثالثاً - تساؤلات الأطفال:

١- أهمية تساؤلات الأطفال :

التساؤل والاستفهام والدهشة من الأمور التي تمثِّل رغبة في استجلاء العلاقة بين مختلف حقائق الأشياء والإحساسات، ولقد فطر الإنسان على ذلك، ونلاحظ من خلال نشاطه العقلي مدى رغبته في ترضيح كوامن الأشياء ومعرفة طبيعتها، وبذلك يكتسب العلم والمعرفة، ويخرج من الجهل وعدم المعرفة، وهو بتساؤلاته يجلب انتباه الوالدين والمربين، ويزداد الارتباط معهم، ويحظى بعنايتهم وعواطفهم، ويتحدد دوره وينضج وقد حمل في داخله الآداب والقيم والتربية التي نريدها.

وقد يكون السؤال مصدراً لتسلية الطفل وتأييد معلوماته الصحيحة وحذف الخاطئة منها واستيعاب اللغة والعلم والمعرفة.

٢- جذور ومنشأ السؤال :

الجهل بالشيء هو الذي يقود إلى السؤال، وحب المعرفة وطلب العلم باعثان أساسيان لتشكل صيغة السؤال، ولا يقف الأمر هنا بل إنّ المواجهة اليومية للأشياء والأعمال والوسائل والأدوات وبمعنى آخر البيئة المحيطة بالطفل الغنية بالمثيرات تدفع الطفل للسؤال فكما قال أمير المؤمنين عليه السلام (الناس أعداء ماجهلوا) والسؤال بجذوره ونشأته مرتبط بعامل الرشد، فكلما اقترب الطفل من مرحلة التفكير المنطقي، تكدست الأسئلة في ذهنه، وتؤدي التغيرات النفسية والجسدية التي تطرأ على الكائن البشري دوراً مهماً في نشوء السؤال. كمسألة البلوغ والصفات الثانوية لها ومسألة المرض والعوارض الناشئة عنه ومسائل الموت والحب والزواج... الخ.

إذاً جذور ومنشأ السؤال عديدة ومتنوعة يؤدي النضج والنمو والبيئة المحيطة بالطفل دوراً مهماً فيها.

٣- متى يبدأ الطفل بالتساؤل ؟

منذ الولادة والأشهر الأولى يبدأ الطفل بالتساؤل قبل أن يعرف اللغة يصوغ أسئلته بشكل نظرات وتعابير في وجهه فقد نراه يسأل عن لعبة له وعن مكان وجودها؟ وعن أمه وعن... وعن.. و ذلك من خلال تعابير وجهه.

وعندما يتعلم الطفل بعض الكلمات يستخدمها في السؤال، فإذا قال بابا قصد أين بابا... لكن هذه الكلمات يتحد بعضها مع بعض لتكون شبه جمل وجملاً ليصبح في سن الثانية والنصف قادراً على صياغة سؤال واضح إذا أصبح قادراً على التكلم.

إنَّه يواجه عالماً من المجاهيل، ويريد أن يفهم حقيقة الأشياء وطريقة استعمالها وصوغها وقيمة هذه الموجودات. هذه الأمور تتوسع مع النمو وتقوى لدرجة تجعل الطفل ينتبه إلى خلق العالم وجنسيته وخلقته.

تفحصات الطفل وأسئلته كثيرة جداً في سنوات الطفولة ولاسيما في السادسة من العمر. ولابدَّ من التفريق بين أسئلة طفل السادسة من العمر وطفل الخامسة، وكذلك طفل تسع السنوات. بمعنى أنه كلما نضج الطفل ونما تنضج معه أسئلته وتقوى وتصبح أكثر جدية وجذرية.

فالتساؤلات تزيد بالتدريج من السنة الرابعة، ولاسيما وأن الطفل يكون واجداً لجميع الشرائط والعوامل التي تكون شخصية في هذا العمر. يريد أن يعرف كلَّ شيء يريد أن يصبح فيلسوفاً يتجه نحو الاستقلال النفسي فيتفحص الأشياء والموجودات بشدة وحزم ويسأل عن كلِّ شيء وكلُّ أسئلته تستخدم أدوات استفهام من مثل: لماذا؟ متى ؟ أين؟ كيف؟... وأسئلته عادة ما تكون مصنفة (دينية ــ اجتماعية ــ اقتصادية ــ أخلاقية ــ ثقافية) وكلما ازداد في العمر ازدادت حاجته للمعرفة والمعلومات وتبادل الآراء والحوار، وبالتدريج تبدأ تساؤلاته بالانحدار نحو الأقل عندما يتعلم القراءة تشبع الكتب فهمه للمعرفة من خلال الكتاب المدرسي وعلاقته بالأصدقاء فيخفف عبء التساؤلات عن والديه، ويلقي به على مدرسيه وأصدقائه.

٤- الهدف من التساؤل :

تتعدد وتتنوع أهداف ومقاصد أسئلة الأطفال رغم أن الهدف الأصلي واحد وهو كسب المعرفة والمعلومات وفيما يلي عرضٌ موجزٌ لأهداف التساؤل:

أ – الكشف والتحقيق :

بعض الأسئلة تهدف لعرفة العالم وأبعاده وموجوداته ومشكلاته وخلق هذا العالم وإدارته والتشابه والاختلاف الموجود بين موجوداته وعلة اختلافها للتوصل لمعرفة الروابط بينها وعلتها ومعلوليتها (لماذا تغيب الشمس)؟

ولا يقف الكشف والتحقيق عند هذه الحدود بل يتعداها للكشف والتحقيق عن حقيقة الروابط الأسرية العم، الخال، الجد، الجدة)،... والفرق بين هذه المصطلحات وكذلك للكشف والتحقيق في دوره كطفل وواجباته وماهية نفسه وسر اختلافه عن الآخرين وسر وجوده ووجود أخ أو أخت له....

ب – تسلية نفسه :

قد تدفع الحيرة للتساؤل لا من أجل اكتساب المعلومات فقد يكون وحيداً ليس لديه عمل يشغل به نفسه وأمه مشغولة عنه، فيطرح أسئلة عديدة ومتنوعة ليلفت نظرها، ويشغلها ويشغل نفسه، فيأتي سؤاله لا معنى له وغير منطقي مدفوعاً بسؤال آخر وآخر دون الانتظار للحصول على الإجابات وكون الأم مشغولة عنه قد تسكته أو لا تجيب عن أسئلته.

ج – إبراز حالته الداخلية :

قد تعبر الأسئلة عن الوضع الداخلي للطفل فتعبِّر من خلال أسئلة عن مشكلات يشعر بها، مشكلات تتعلق باضطرابات لديه خوف.. قلق... فقدان الأمن، وقد يفكِّر في أمور لو وقعت ماذا سيفعل؟ ولماذا وقعت؟ ولو مات قريب له؟ ولو تركته أمه...؟؟ ويفترض ويفترض فيطرح أسئلة تعبِّر عما بداخله فتأتي أسئلة معبرة عن اضطرابات داخلية لديه.

د – النجاة من الوسوسة :

قد تكون لدى الطفل وساوس معيبة يرغب في التحرر منها، ويريد أن يؤكِّد معارفه ويبحث عن إجابات مقنعة، يريد أن يتعلم ويعرف ويتأكد من محبة الأهل وعطفهم له.

هـ – أهداف أخرى :

قد يسأل الطفل سؤالاً يريد أن يحرج فيه أهله انتقاماً منهم أو ليغضب أهله نتيجة لكثرة أوامرهم الموجهة له أو بهدف السخرية مما حوله أو لجلب الانتباه إليه.

رابعاً - خصائص أسئلة الأطفال :

غالباً ما تحمل أسئلة الأطفال الخصائص التالية:

١- خالية من سوء النية.

٢- بسيطة وبعيدة عن الغش.

٣- هدفها معرفي رمزية وغير مباشرة.

٤- انتقادية اكتشافية وخاصة عند الأطفال الأذكياء.

٥- سريعة فلا يفصل بين السؤال والسؤال فاصل زمني فيها شيء من الإلحاح.

٦- غالباً ما يطلب الطفل إجابة سريعة غير مؤجلة.

٧- صريحة وبعيدة عن الحياء والخجل.

٨- غير ناضجة أحياناً ولا أساس لها.

خامساً - أهمية الإجابة عن تساؤلات الأطفال :

❖ يتفاوت تفكير الطفل تبعاً لتفاوت القدرات العقلية عنده ، وتعتبر مرحلة الطفولة المبكرة من أكثر المراحل العمرية التي يتساءل فيها الطفل عما يراه حوله، ليجد له تفسيراً مقنعاً، هذه الأسئلة التي يوجهها الطفل لأبويه أو لمعلميه يجب أن تلاقي كلَّ اهتمام وعناية، ولا ينبغي التغافل عنها أو الاستهزاء بها أو التهرب منها، لأنَّ كلَّ ردٍّ فعل تجاه هذه الأسئلة سوف ينعكس سلباً أو إيجاباً تبعاً لردود تلك الأسئلة، وقد يضطره التغافل عن أسئلته إلى البحث عن إجابات من مصادر غير موثوق بها أو غير مأمونة.

ولعلَّ أكثر ما يسأل عنه الأطفال عند بداية تفكيرهم هذا الكون وما يرونه من كواكب ونجوم وشمس وقمر وبحار وأشجار ومخلوقات، وهي تدلُّ على بداية تمييز الطفل، فبأي شيء نجيب نحن المربين عن هذه التساؤلات؟

بداية لابدَّ من أن نُعرّف هؤلاء الأطفال بالمسميات الحقيقية للأشياء حتى تنطبع في أذهانهم، ولا نكذب عليهم أو نختلق أسماء وهمية، لأنَّ مردود ذلك سيء عليهم، وعند تفسير الظواهر الكونية من ليل ونهار وشمس وقمر ورياح وأمطار، يجب أن نربطهم بالله تعالى، حتى يتربوا على عقيدة سليمة، فنخبرهم أنَّ الله وحده خالق هذا الكون بما فيه ومن فيه، ونتلوا عليهم بعض آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: **﴿ألم نجعل الأرض مهادا. والجبال أوتادا. وخلقناكم أزواجاً﴾** (النبأ: ٦-٨)، وقوله سبحانه: **﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا. وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾** (نوح: ١٥-١٦)، وقوله عز من قائل: **﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾** (آل عمران: ١٩٠).

وإذا ما سأل الطفل أسئلة وتهرب الوالدان من الإجابة عنها، فقد الطفل الثقة في من يسأله، لأنه – ومن وجهة نظره – لابدَّ من الإجابة عن كلٍ تساؤل، وينبغي أن تكون الإجابات مقنعة للأطفال، ومناسبة لعقليتهم، ولا نجيب عن الأسئلة الصعبة بأصعب منها، حتى لا ندخلهم في دائرة مفرغة، لا يعرفون أولها. إننا لو احترمنا عقلية الطفل وتفكيره فسوف يسهم ذلك في تنمية مداركه، ويكون عاملاً على تفوقه ونبوغه، فلا ينبغي أن نهمل أسئلة الأطفال مهما كانت صعبة أو محرجة.

الأطفال حساسون حول أسئلتهم، ولا يقبلون بعدم الجواب وعدم الاعتناء ولا يشعرون بالاستقرار إلا بعد أن يحصلوا على الجواب.

وقد يمتنع بعض الآباء عن الجواب لأسباب متعددة منها هو أنّه لا يريد تحطيم حاجز الاحترام بينهم وبالنتيجة إمّا أن يختار الطفل طريقه بصورة عمياء ومع الوساوس والقلق، وإمّا أن يطلب جواب سؤاله من الآخرين. وقد لا تكون الإجابة موثوقة صحيحة تلبي الحاجة. وبذلك تسبب للطفل إحباطاً وقلقاً وضياعاً لا ينتهي.

١- حدود الإجابة عن أسئلة الأطفال :

عند الإجابة عن أسئلة الطفل لابدَّ من مراعاة مجموعة نقاط نذكر منها:

أ – الإجابة عن السؤال بنفس المقدار المطلوب وعدم التفصيل.

ب – أن تكون الإجابة بسيطة مختصرة.

ج – أن تتناسب الإجابة وعمر الطفل ومستواه العقلي.

٢- مهارات الإجابة عن أسئلة الأطفال:

تتطلب الإجابة عن أسئلة الأطفال مجموعة مهارات على الشخص المجيب امتلاكها:

أ - الإجابة الصحية.

ب - البساطة.

ج - سهولة الكلمات المستعملة.

د - الاختصار.

هـ - الصدق.

ز - كسب ثقة الطفل السائل.

و - الصبر والحلم.

ي - منطقية الإجابة.

سادساً - أساليب الإجابة عن أسئلة الأطفال:

تتعدد أساليب الإجابة عن أسئلة الأطفال نذكر منها :

١- **الإجابة الشفوية:** وهي من أكثر الإجابات تداولاً حيث يطرح الطفل السؤال ويقوم الأهل بتقديم الإجابة الشفهية، وغالباً ما تكون هذه الإجابة سريعة ومختصرة.

٢- **الإجابة من خلال حكاية صغيرة:** وهي طريقة غير مباشرة في الإجابة عن الأسئلة، وتكون الحكاية متناسبة مع طبيعة السؤال المطروح، وعادة يحب الأطفال هذا النوع من الإجابة ويستمعون إليها بشغف.

٣- **الإجابة المصورة:** قد يطرح الطفل سؤالاً تحتاج الإجابة عنه إلى استخدام بعض الصور الموضحة خاصة الأسئلة العلمية حيث تشكِّل الصور مصدراً رئيساً للمعرفة خاصة إذا كانت ملونة وجذابة.

٤- **الإجابة من خلال الدمى:** عادة تستخدم هذه الطريقة في رياض الأطفال حيث يطرح أحد الأطفال سؤالاً، وتتمُّ الإجابة عنه من خلال عرض مسرحي (مسرح عرائس).

٥- **الإجابة من خلال الملاحظة:** قد يطرح الطفل سؤالاً يمكن الإجابة عنه عملياً من خلال اصطحاب الطفل إلى مكان الإجابة لملاحظة الأمور على الواقع واستنتاج الجواب كسؤال الطفل مثلاً عن حيوانات البيئة وكيف تعيش، وماذا تأكل وكيف تتكاثر (الطيور - القطط - الحشرات...).

ومهما كان الأسلوب المستخدم في الإجابة يجب أن يكون متناسباً مع طبيعة السؤال ومدارك الطفل.

سابعاً - اتجاهات الأهل نحو أسئلة الأطفال :

قد يضيق بعض الآباء والأمهات من أطفالهم ذرعاً عندما يصلون إلى مرحلة توجيه الأسئلة، ذلك لأنَّ الكثير من أسئلة الأطفال محيرة للآباء والأمهات ويعجزون عن إعطاء الإجابات المناسبة لها. ومرور الأطفال بمرحلة التساؤل أمر طبيعي جداً. ومن الشائع تهرب الآباء والأمهات من الإجابة عن أسئلة أطفالهم، وقد ينهرونهم أحياناً أو ينزل البعض بهم العقوبات. ويصاب الطفل الصغير بضيق وإحباط شديد عندما يقابل سؤاله بجبين مقطب وفم مغلق من قبل الآخرين في الوقت الذي يتوق فيه الطفل لسماع الإجابة المقنعة عن سؤاله الحائر.

وقد أثبتت الأبحاث أنَّ التهرب من الإجابة والأجابة العشوائية أمر يسيء إلى الطفل إساءة كبيرة لذلك على الأهل الإجابة الصادقة المختصرة البسيطة المحددة المقنعة وبذلك تكون الإجابة ذكية.

إنَّ أخطر شيء هو الكذب المتعمد في الإجابة عن أسئلة الطفل، لأنَّ هذا يفقده الثقة بأبويه، ويجعله يبحث عن مصدر آخر للحصول على إجابات لتساؤلاته، وقد يتعرض للقلق النفسي والخجل والانزواء والانطواء. وربما يجعلهم غير قادرين على حلٍّ مشكلاتهم في المستقبل.

إنَّ الأسرة الواعية تدرك جيداً أنَّ الإجابة عن أسئلة الطفل تسهم في تنمية شخصيته، وتنمي قدراته اللغوية، وتزيد معارفه، وتخفف من قلقه، وتجعله أكثر تفاعلاً مع العالم الذي يعيش فيه، فنراها تستقبل أسئلته بوجه صبوح مبتسم وبصبر وهدوء ولو تعددت الأسئلة وتكررت. لأنَّ هذا يصقل شخصية الطفل ويزيد ثقته بنفسه وبالآخرين، ويقوي علاقته بوالديه. وبالمقابل يشعر الوالدان بالطمأنينة بأن طفلهم حصل على إجابة سليمة وصحيحة.

ثامناً - قواعد خاصة بتساؤلات الطفل نفسها:

١- قد يتساءل الطفل تساؤلات مرتبطة بموضوعات حرجة كموضوع الجنس والعلاقات الجنسية والحمل والولادة وغيرها،... وعلى الأهل أن لا يشعروا الطفل بأنَّه تخطى الحدود وأن يتصفوا بالهدوء وهذه التساؤلات أمر طبيعي يجب أن تستقبل ببشاشة، ويجاب عنها بطريقة صحيحة وصريحة، ونحذِّر من تجاهل الإجابة لأنَّ الطفل سيبحث عنها من مصادر أخرى قد تكون خاطئة.

٢- قد يتساءل الطفل تساؤلات علمية صعبة وعميقة وهنا على الأهل الاهتمام بها والبحث عن الإجابة من مصادر موثوقة كالموسوعات والكتب العلمية لتأتي الإجابة صحيحة ودقيقة.

٣- قد يطرح الطفل تساؤلات عديدة، ولكنّها تقسم إلى قسمين ملحة وعابرة، ويجب أن يصب الاهتمام على الأسئلة الملحة التي يكررها الطفل لأنّها تعبر عن اهتمامات خاصة لديه، ولا يعني هذا إهمال العابرة تماماً فقد تكون بداية لأسئلة أعمق وأفضل.

٤- على المربي (أسرة – معلم) أن يهيئ الجو للطفل ليطرح أسئلة إجرائية يمكن الإجابة عنها إجرائياً وعادة ما نقوم بالتخطيط لاستجرار مثل هذه الأسئلة من الطفل.

٥ـ قد يتساءل الأطفال في بعض الأحيان أسئلة ساذجة غريبة لا معنى لها يجب عدم إهمالها لأنّ التساؤل من حق الطفل.

تاسعاً - قواعد خاصة بطبيعة الطفل وخصائصه :

عند الإجابة عن تساؤلات الأطفال (أطفال ما قبل المدرسة) يجب مراعاة مجموعة قواعد يأتي في مقدمتها أنّ الطفل في هذه المرحلة يكثر من التساؤل دون رادع يمنعه مهما كان التساؤل لإشباع حاجات نفسية عنده، كالحاجة إلى تقدير الآخرين له، والحاجة إلى الثقة بالنفس وتحقيق الذات، وذلك أكثر من حاجاته المعرفية والعقلية، بمعنى أنّ الطفل قد لا يهتم بالإجابة بقدر ما يهتم بما تحققه له الإجابة من التوازن النفسي والطمأنينة.

وأحياناً يعتبر الطفل أنّ أيّ رواية تروى أمامه هي كذب فقد يطرح السؤال على أكثر من شخص ليتأكد من الإجابة، وإذا جاءت الإجابات متناقضة وقع الطفل في حيرة من أمره من يصدق لذلك نقول إنّ الإجابة يجب أن تكون صادقة ومقنعة ومتناسبة مع مدارك الطفل وعلينا ألاّ ننسى أنّ طفل هذه المرحلة حاد الخيال لكن خياله محدود في إطار البيئة التي يعيش فيها،

والأفراد المحيطين به والأشياء والظواهر التي يراها ويتعامل معها، كما يكون الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة إيهامياً، الأمر الذي يتطلب من المربين أن تكون إجاباتهم عن تساؤلاته في حدود خياله المحدود، وألاَّ تفرض عليه الإجابات العبور بخياله خارج حدود بيئته. ومن الجدير بالذكر أنَّ أحكام الطفل على الأشياء والظواهر غالباً ما تكون حسية مستندة إلى الصور الحسية التي تبدو بها تلك الأشياء والظواهر بالنسبة إليه إذ أنَّ للطفل منطقه ويجب على من يتعامل معه تعديل الصور الحسية بما تضيفه ويتلاءم مع منطقه.

ويرى بعض الباحثين في خصائص طفل ما قبل المدرسة أنَّ الطفل لا يمتلك القدرة على التنسيق بين أكثر من متغير في الموقف الواحد، حيث يركِّز على متغير واحد غالباً ما يكون هو المتغير الذي يجذب انتباهه بصرياً، فالطفل الذي يتساءل عن سبب طيران العصفور وعدم طيران الدجاجة فإنَّه يركِّز على متغير واحد في مقارنته ألا وهو الجناحان.

ويجب علينا ألاَّ ننسى أنَّ الطفل يجد صعوبة في إدراك الأشياء التي تمتلك أكثر من خاصية واحدة، ومن ثم يجد صعوبة في التصنيف على أساس تعدد الخواص ومجمل القول: على الأهل السعي إلى تقديم إجابات مناسبة عن تساؤلات الأطفال مع مراعاة ما ذكر سابقا. أي مراعاة خصائص الطفل في المرحلة العمرية التي يمرُّ بها.

عاشراً - خطر عدم الإجابة عن أسئلة الأطفال:

الأطفال حساسون تجاه أسئلتهم، ولا يقبلون بعدم الجواب وعدم الاعتناء بأسئلتهم، فإذا استقر سؤال في ذهنهم أصرُّوا على الجواب، ولكن تهرب الأهل من الإجابة يؤدِّي إلى :

١ – البحث عن مصادر أخرى للإجابة قد تكون خاطئة.
٢ – فقدان الثقة بالأهل وبالنفس.
٣ – القلق والإحباط النفسي.
٤ – العزلة والانطواء.
٥ – إغلاق قنوات الحوار والاتصال بين الأهل والطفل مما يضعف العلاقة بينهما.
٦ – اضطرابات نفسية وعصبية وأحلام مزعجة.
٧ – عدم شعور الطفل بقيمته وبالتالي عدم قدرته على تقبل ذاته.
٨ – محدودية معلومات الطفل مما ينعكس على قدراته وإمكانياته العقلية والمعرفية.

ومن خلال عرضنا يتبين أنَّ رغبة الطفل في تعرف الأشياء والأشخاص والمواقف تدفعه للتساؤل، وأنَّ هنالك أطفالاً تسأل لجذب انتباه الآخرين، والسؤال الذي يطرحه الطفل هو مفتاح لحصوله على المعرفة والعلم وهو سراج منير يخرجه من ظلام الجهل، والسؤال لا يأتي هكذا اعتباطياً إنَّما الجهل بالشيء هو الذي يقود الطفل للتساؤل وحبه للعلم والمعرفة وتلك التغيرات النفسية والجسدية التي تطرأ على الكائن البشري ويخطئ من يعتقد أن سؤال الطفل يبدأ عندما تنمو قدراته اللغوية، فالطفل منذ الأشهر الأولى تشكل نظراته وتعابير وجهه مجموعة من الأسئلة، وقد يسأل سائل عن الهدف من التساؤل والأهداف كثيرة ومتنوعة، فقد تكون للكشف والتحقيق وبعضها لتسلية نفسه وأخرى لإبراز حالته الداخلية وقد تكون لينتقم من أهله أو يحرجهم أو ينتقم منهم.

وغالباً ما تكون أسئلة الأطفال ذات خصائص معينة وأهم خاصة من خصائصها بساطتها ووضوحها وصراحتها وجرأتها.

ومهما كانت الأسئلة المطروحة لابدَّ أن يقوم الأهل بالإجابة عنها وذلك احتراماً لعقلية الطفل وتفكيره وسعياً وراء تنمية مداركه، ويكون ذلك عاملاً مساعداً على تفوقه ونبوغه. فلا ينبغي أن نهمل أسئلة الأطفال مهما كانت صعبة أو محرجة.

إلاَّ أنَّ الإجابة عن تساؤلات الطفل لها حدود معينة إذ يجب أن تتناسب مع عمره ومستواه العقلي وبسيطة ومختصرة. وهذه الإجابات يجب أن يمتلك من يجيب عليها مهارات خاصة تمكنه من تقديم إجابات منطقية وصادقة وبلغة مبسطة وقد تكون الإجابة شفوية أو من خلال حكاية أو من خلال الملاحظة. مع العلم أنَّ للآباء اتجاهات مختلفة في الإجابة عن تساؤلات أطفالهم فقد يضيق البعض من كثرتها ويتذرع بعضهم الآخر ومنهم من ينهر الطفل ويصرخ بوجهه إلى ما هنالك من مواقف واتجاهات تترك آثاراً سلبية على شخصية الطفل مع العلم أنَّ للإجابة عن تساؤلات الأطفال قواعد خاصة على الأهل مراعاتها تتعلق بطبيعة الطفل وخصائصه، وأنَّ هنالك أخطاراً كبيرة تنجم عن إهمال الإجابة عن تساؤلات الأطفال تمّ عرضها في الفصل إلاَّ أنَّها أكثر خطورة هو محاولة الطفل البحث عن مصادر أخرى للإجابة قد تكون غير موثوقة.

الفصل الرابع

تصنيفات أسئلة الأطفال

أولاً - مقدمة :

تتعدد أسئلة الأطفال وتتنوع خاصة في سن ما قبل المدرسة، ومن أجل الحصول عليها قامت الكاتبة بمحاولة تعرف هذه الأسئلة تعرفاً عملياً، إذ قامت بإرسال رسائل إلى أهل ٢٠٠ طفل، وطلبت من كلٍّ أسرة أن تكتب أكثر من خمس - أسئلة يطرحها الطفل عليها باستمرار وبإلحاح. وقد وجد العمل تجاوباً من قبل الأهل، وحصلت الكاتبة بذلك على نحو ١٠٠٠ سؤال مصدرهم من الأطفال، وبناء على ذلك وصلت إلى التصنيفات التالية حسب التسلسل:

نوع الأسئلة	النسبة المئوية
١- الأسئلة العلمية	%٤٩,٥
٢- الأسئلة الجنسية	%٢٣,١
٣- الأسئلة الدينية	%١٤,١
٤- الأسئلة حول الموت	%٩,٥
٥- الأسئلة السياسية	%٥,٨

من الجدول السابق نلاحظ أنَّ أكثر أسئلة الأطفال هي أسئلة علمية، وهذا أمر طبيعي لأنَّ الظواهر الطبيعية والأمور العلمية التي تزخر بها بيئة الطفل هي التي تثير حب الاستطلاع لديه، مما يدفعه للتساؤل. أمَّا الأسئلة التي احتلت المرتبة الأخيرة فهي الأسئلة السياسية، والتي هي آخر اهتمامات الأطفال، وربما تكثر في الحالات التي تكون فيها الأزمات السياسية حادة مما تثير التساؤلات لدى الأطفال.

وسنتحدث عن كلٍّ نوع من أنواع الأسئلة بشيء من التفصيل وعن كيفية الإجابة عنها.

ثانياً - أنواع أسئلة الأطفال:

أ – الأسئلة العلمية: وهي مجموعة الأسئلة التي تدور حول الظواهر الطبيعية والعلمية.

ب – الأسئلة الجنسية: وهي مجموعة الأسئلة التي تدور حول الجنس والعلاقات الأسرية.

ج – الأسئلة حول الموت: وهي مجموعة الأسئلة التي تدور حول الموت وطبيعته.

د ــ الأسئلة الدينية: وهي مجموعة الأسئلة التي تدور حول الخالق ووجوده

هـ ــ الأسئلة السياسية: وهي مجموعة الأسئلة التي يطرحها الأطفال حول بعض الأحداث السياسية الساخنة المحيطة به.

وسنتحدث في هذا الفصل عن هذه الأسئلة بصورة مفصلة.

أ - الأسئلة العلمية :

تتعدد أسئلة الأطفال العلمية وتتنوع، فمنها ما يتعلق بالظواهر الطبيعية، ومنها ما يتعلق بعلم الأحياء، ومنها حول الإنسان، ومنها ما يتعلق بالكون والظواهر الكونية. ولدينا مجموعات كثيرة من الأسئلة من الممكن أن نوردها أمثلة على ذلك، ولكن في البداية لابدَّ من أن نناقش مسألة مهمة، وهي لماذا تكثر أسئلة الأطفال العلمية؟

من صفات الطفل حبه الاستطلاع، وخاصة الاستطلاع العلمي، فكلُّ ما يحيط به يدفعه للتساؤل، فهو فضول بطبعه يسعى إلى الحصول على إجابات بشأن العالم المحيط به. وهذه فرصة مناسبة للمربين لتنمية الروح العلمية عند الأطفال. وينصح عادة بمساعدة الأطفال على القيام ببعض التجارب العلمية البسيطة ليحصلوا على الإجابة بأنفسهم.

وفي بحث قامت به الكاتبة حول أسئلة الأطفال تبيَّن أنَّ ٤٩,٥% من مجموع أسئلة الأطفال عينة البحث أسئلة علمية، وبذلك تكون هذه الأسئلة قد احتلت المرتبة الأولى.

١- اكتساب الطفل للعلم والمعرفة مهمة لا تنتهي:

يقول الدكتور سبوك في كتابه مشاكلات الآباء في تربية الأبناء (إنك تحلم بأن يكون ابنك ماهراً هذا من حقك ولكن من حق الطفل عليك أن تجعل رحلة المهارة مشوقة ولذيذة بحيث يقبل الطفل عليها باستمرار، ويتدرب عليها عدة شهور ثم أخيراً تستطيع أن تهنئ نفسك بأن ابنك قد أصبح ماهراً في المجالات التي تطرحها عليه مراحل العمر).

من هذا القول ننطلق لنؤكد أنَّ العلوم الطبيعية تدخل في حياة كلٍّ فرد، وتتجلى في بيئته التي يستمد منها العيش والعون في سبيل بقائه وحفظه وتقدمه ورفاهيته. فمعلوماته عن الطبيعة ونواميسها تساعده على تسخير قواها لحاجاته الضرورية التي لا يمكنه العيش من دونها، كالمأكل والمشرب والملبس والمأوى والزراعة والصناعة ووسائط الانتقال من مكان إلى آخر، فهي لهذه مهمة لها أهمية حياته نفسها، وكلما كان اطلاعه على ما فيها من قوى ومؤثِّرات كبيراً أمكنه الاستفادة منها عل نحو أحسن. خاصة أنَّ الجهد البشري بجهود العلماء الطبيعيين استطاع أن يكشف النقاب عن طاقات الطبيعة الهائلة التي يمكن استغلالها لنفع البشرية، وخدمة الإنسان والحيوان والنبات خدمات مهمة، ولإنجاز كثير من مهام الإنسان حتى أصبح كأنَّه لا يستطيع العيش من دونها بعد أن اكتشف قوانينها وضرورتها. ولهذا فقد أمكنه توفير كلٍّ ما يعود بالنفع عليه منها في سبيل تأمين بقائه وتحسين ظروف عيشه وارتياحه ولعلَّ في استخدام القوى البخارية والحرارية والكهربائية والطاقة الذرية في الأغراض السليمة خير دليل على أهمية العلوم الطبيعية للإنسان.

والعلوم ليست حقائق مستقرة وثابتة، وإنَّما هي في المعرفة الإنسانية آخذة بالنمو وبالاتساع بصورة مستمرة يوماً بعد يوم، والاكتشافات الحديثة آخذة بالتزايد جيلاً بعد جيل، في الوقت الذي أصبح فيه العالم قرية صغيرة والثورة المعلوماتية تحاصر الإنسان في كل مكان.

وعن طريق دراسة الطبيعة ازدادت معارف الفرد المتعلم عن المظاهر الطبيعية وقواها وأنواع الطاقة المتوافرة فيها واتسع فهمه لقوانينها.

وعلى المربين (آباء – أمهات) أن يحفزوا أطفالهم منذ وقت مبكر على الاحتكاك بالطبيعة والخروج إلى الفضاء الرحب حيث يجدون متسعاً من الوقت للتعرف على المشاهد الطبيعة برؤيتها إن أمكن، والشعور بالظاهرة الطبيعة في محيطها.

إنّ احتكاك الأطفال بالطبيعة يمكنهم من الحصول على الخبرات بأنفسهم، ويولّد لديهم حب الاستطلاع والتساؤل والاكتشاف ولو لم يكن عند الأطفال حب للتساؤل علينا أن ننمي لديهم هذا الحب، وأن نطرح عليهم الأسئلة بكثرة لأنّ هذه الأسئلة هي مفتاح تنمية مدركات الأطفال، وعندما يسمعها الطفل يجب أن نطلب منه التفكير في إجابة ونقول له: ابحث واسأل نفسك، والهدف من ذلك دفع الطفل لكي يفكر ويأخذ قراراته، ويفكر بوضوح، وبالتالي تتكون لديه عادة طرح الأسئلة ومحاولة البحث عن إجابات.

إنّ الجدل داخل الطفل وحواره مع نفسه ونقاشه الذي يدور داخل عقله من أهم الأساليب التي تنمّي قدرات الإنسان العقلية والذكاء عموماً.

إنّ إرهاصات الاستقصاء تحدث غالباً عندما يطلب من الطفل أن يذهب إلى أبعد من المعلومات المعطاة ليكتسب معلومات جديدة، وليكون التعميمات الخاصة به وقد تأتي أسئلة الأطفال نتيجة حدثٍ يثير حب الاستطلاع لديهم، أو مشاهدة تتحدى تفكيرهم أو عدم قدرتهم على تقديم تفسيرات مناسبة لحوادث أو ظواهر يشاهدونها.

والطفل قادر وراغب في القيام بإجراء التحريات والاستقصاءات والاستنتاج لكلّ ما تشتمل عليه بيئته الطبيعية ولو بصورة مبسطة. مع العلم بأنّ تعرف الطبيعة والمفاهيم العلمية لم يكن يقصد منها أن تكون عميقة

ومتسعة الجوانب بما يتجاوز حدود القابليات الذهنية لدى الطفل. كما أنَّه ليس (علماً مصغراً) بشكل يكون سطحياً يستخف الطفل به، وإنَّما هو من السعة والعمق بحيث يتناسب ودرجه نضجه، ويعالج المواضيع نفسها التي يتناولها الكبار إلى حد ما ولكنَّه لا يتعمق كثيراً فيها.

والواقع أنَّ ملاحظة عابرة لأيّ طفل صحيح وسليم العقل، ترينا أنَّ قوة حبّ الاستطلاع فيه تدفعه إلى أن يتحرى وينقب ويحقق ويكتشف ويجرب بصورة باستمرار. وتدريب الأطفال على الأسلوب العلمي في التفكير هدف معرفي مهمة يبدأ الطفل بالتساؤل ثم البحث ثم التجريب ثم الاكتشاف. وبذلك علينا تشجيعه على التساؤل باستمرار.

٢- الأسئلة العلمية التي يكررها الأطفال :

١- الأسئلة التي تدور حول موارد البيئة والكائنات الحية :

قد تكثر أسئلة الأطفال حول موارد البيئة والكائنات الحية، وهي غالباً من النوع اليسير والذي من السهل على الآباء الإجابة عنها، وربما يكون بعضها صعباً بعض الشيء نظراً لأن الإجابة عنها تتطلب تفصيلات معمقة قد لا يلمُّ بها كلُّ الآباء.

فقد يسألك طفلك أين يوجد الهواء؟ وتجيبه في كلِّ مكان ولا تكفيه هذه الإجابة بل يسألك لماذا لا نراه؟ وتجيبه بأنَّه عديم اللون لكن نشعر به ونستدل على وجوده بتحريكه للأشياء. وهنا أقول: لا تقفوا عند هذا الحد وتطبيقاً لما تحدثنا عنه في الفقرة السابقة ابدؤوا بالتجريب عن طريق المروحة الكهربائية وتشغيلها وطرح أسئلة على الطفل بماذا تشعر؟ وهنا تكون قد دفعت بطفلك

من التساؤل إلى البحث والتجريب ولا تدعه يصدر تعميماته من تجربة واحدة بل أحضر بالوناً وانفخه واطلب من الطفل أن يضع يده على فوهة البالون وأسأله بمَ تشعر؟ واطلب منه النظر إلى شجرة تتحرك أغصانها واجعله يبحث عن إجابته بنفسه. وهنا تكون قد انتقلت بالطفل من التساؤل إلى البحث ثم التجريب ثم الاكتشاف.

وها نحن نورد حواراً بين طفل وأبيه عن سؤال طرحه الطفل على أبيه وهو لماذا لا يطير كالعصفور.

الطفل: لماذا لا أطير مثل هذا العصفور؟

الأب: لأن للعصفور جناحين، وليس لك مثل جناحيه وجسمه صغير وجسمك كبير.

الطفل: لماذا لا تطير الدجاجة مع أنَّ لها جناحين.

الأب: لأنَّ الدجاجة نحن نطعمها ونحميها أما العصفور فهو يبحث عن الحماية والطعام له ولصغاره.

وإذا أمكن اصطحاب الطفل لرؤية أعشاش الطيور يكون ذلك أمراً جيداً، وإن تعثَّر فيمكن الاستعانة بالصور.

٢- الأسئلة حول بعض الظواهر الكونية:

قد يسأل الطفل أسئلة تتعلق بالظواهر الكونية محاولة منه فهمها والبحث عن تفسير لها والأسباب الكامنة وراء حدوثها.

فقد يسأل الطفل عن تعاقب الليل والنهار (لماذا يوجد ليل؟ لماذا يوجد نهار)

أجبه بأنّ الأرض تدور والشمس تذهب لمكان آخر من الأرض ونورها القوي يذهب معها، وتستمر الأرض في الدوران، وتعود لنا الشمس مرة أخرى، فيعود النور ولا تكتفي بهذا بل جرِّب له تجربة بسيطة من خلال كرتين أحدهما كبيرة وتمثِّل الشمس وليكن لونها أحمر أو برتقالي وصغيرة تمثِّل الأرض وتلوّن بلونين (أبيض واسود) ثم ضع الكرة الصغيرة التي ترمز للأرض على مسافة مناسبة من الكرة الكبيرة التي تمثِّل الشمس ثم أدر الكرة الصغيرة بيدك لتدور حول محورها وبيِّن للطفل بأنّ الأرض تدور حول نفسها مثل الكرة، فإذا أتى نصفها الأبيض تصبح الدنيا نهاراً، وإذا أتى نصفها الأسود أصبحت الدنيا ليلاً.

ولا يقف الطفل عند هذا الحد بل سيسأل:

١- من أين تأتي الشمس؟ وأين تذهب؟ ولماذا لا تطلع في الليل؟

٢- لماذا يطلع القمر بالليل؟ أين يذهب في النهار؟

٣- لماذا هناك برق ورعد (لأن اصطدام السحاب يصدر صوتاً وضوءاً).

أجب بنفس مستوى وأسلوب الإجابة السابقة.

٣- الأسئلة التي تدور حول الأجهزة المنزلية:

يدهش الطفل بجهاز التلفاز ويحاول البحث عن سرّه وكيف يدخل الناس داخله ولماذا لا يدخل معهم؟ وهل يروننا مثلما نراهم. والحقيقة أنّ مثل هذه الأسئلة تتطلب شرحاً علمياً متعمقاً قد لا يصل لذهن الطفل بوضوح، ولكن بإمكانك استخدام كاميرا الفيديو المنزلية وتصور بها وتعرض الصورة وتقول له إنّ العملية تسير بهذا الشكل وأنّ هنالك تلفزيوناً كبيراً يصور الناس في

مكان معين ثم يرسل صور هؤلاء الناس في الهواء فيلتقطها التلفزيون في المنزل عن طريق الهوائي (الإرسال).

وعرّف طفلك على الهوائي والسلك الموصول بينه وبين جهاز التلفزيون لتكون إجابتك مقنعة.

وقد يسأل الطفل عن المذياع وعن الهاتف فلا تقف حائراً وجرب له تجربة الهاتف بالمنزل عن طريق علبتين من المعدن فارغتين موصولتين بخرطوم فارغ، ودع الطفل يضع أذنه على واحدة، وتحدث في الثانية، وبذلك تكون قد شرحت له آلية العمل من خلال طرح السؤال ثم البحث والتجريب والاستكشاف، وابتعد عن الإجابات الجاهزة وابحث عن إجابات بسيطة.

ولا تنسَ أن تستغل الفرصة للتوضيح للطفل عن كيفية استخدام الأجهزة المنزلية وخاصة الكهربائية لتجنبه خطر استخداماتها وخطر الكهرباء، فيتعلم الطفل كيفية وصل الكهرباء لجهاز التلفاز خيراً من تحذيره من وضع يده على موصل الكهرباء.

٣- نصائح لابدَّ منها :

١- انتبه لأسئلة طفلك العلمية، وصنِّفها، هل هي من النوع العادي؟ أم الذكي، لأن في ذلك مؤشِّراً على قدرته على التفكير.

٢- شجِّع طفلك على البحث عن الإجابة من خلال التجربة والعمل.

٣- إن كان طفلك قليل التساؤل حاول أن تدفعه أنت للتساؤل من خلال الرحلات ولفت انتباهه للظواهر والأشياء.

فالطفل الذكي هو الطفل الذي يسأل أكثر مما يجيب.

٤- لا تقل لطفلك إنَّك مازلت صغيراً على فهم الإجابة سأجيبك عندما تكبر.
٥- إذا شعرت أنَّ طفلك لم يقتنع بالإجابة فابحث عن أسلوبٍ آخر في الإجابة.
٦- مهما كانت الإجابة صعبة أعد صياغتها بأسلوب محسوس ومقنع وبسيط يتناسب مع مستوى نمو الطفل العلمي.
٧- استخدم التجارب العلمية البسيطة لتجيب عن تساؤلات طفلك لأن ذلك يعوده طريقة التفكير العلمي.

للإجابة عن الأسئلة العلمية خصوصية تجعلها متميزة عن غيرها من الأسئلة، لأنَّها تدلُّ على ذكاء الطفل وانبهاره بهذا العالم، لذلك لابدَّ من أن تكون الإجابة عنها من خلال الخبرة المباشرة والملاحظة الحية مستخدمين فيها حواس الطفل، بحيث تصبح المدركات الحسية محور تعليم الأطفال، فالطفل يحب أن يكتشف بنفسه معتمداً على حواسه، وعلينا تحفيزهم للتساؤل لا قمعهم وذلك لأنَّ لديهم حب الاستطلاع والاكتشاف والتنقيب والتجريب، والطفل فضولي بطبعه، ولديه الكثير من الأسئلة عن كيف ولماذا؟ ولنكن على ثقة أنَّ الطفل يمتلك السمات اللازمة لفهم أولويات العلوم ومبادئها.

ب- الأسئلة الجنسية :

إنَّ أسئلة الطفل الكثيرة دليل على عقل نشط وعلى توفر قوة الملاحظة وحب الاستطلاع والفضول الكبير للمعرفة، ولكن المشكلة الحقيقية تأتي من بعض الأسئلة التي قد يجد الآباء حرجاً في الإجابة عنها إذ كيف يجيبون الأطفال عن أسئلة في موضوعات يستحي الكبار من التحدث فيها؟ أو ربما لا يعرف الكثيرون منهم الإجابة الصحيحة عنها.

ولذلك نرى هنا ضرورة الخوض قليلاً في مفهوم التربية الجنسية وطبيعتها ومسؤولية الآباء تجاهها.

١- التربية الجنسية للطفل :

(يذكر الدكتور زهران ١٩٧٧، ص ١٥) في كتابه سيكولوجية الطفولة والمراهقة «أنَّ المقصود بالتربية الجنسية ذلك النوع من التربية الذي يمدُّ الفرد بالمعلومات العلمية والخبرات الصالحة والاتجاهات السليمة إزاء المسائل الجنسية، بقدر ما يسمح به نموه الجسمي والعقلي والانفعالي... وفي إطار التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية، والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع.. ممَا يؤهله لحسن التوافق السليم مع المواقف الجنسية التي تمكِّنه من مواجهة مشكلاته الجنسية في الحاضر والمستقبل، مواجهة واقعية تؤدِّي إلى الصحة النفسية» .

فالتربية الجنسية تجمع بين التربية الصحية والتربية الخلقية، وهنا يقع على عاتق الأسرة المسؤولية المباشرة عن هذا النوع من التربية، لأنَّ سلوك المراهق حيال أمور الجنس يتوقف على التربية الجنسية التي تلقاها في طفولته.

وقد يخطر ببال أحد ما أن يوجه السؤال مباشرة على النحو الآتي «في أيِّ سن ينبغي أن تكون التربية الجنسية»؟ والردُّ على هذا السؤال ليس من البساطة في شيء، فلا يمكن أن نحدد سناً معينة للتربية الجنسية. إذ يجب أن تستمر عملية التربية الجنسية من المهدِ إلى اللحد، ولهذا يجب أن تعاد صياغة السؤال ليصير «أي نواحي التربية الجنسية تتناسب بالذات مع الأعمار المختلفة ؟» وسوف أجيب فيما يلي إجابة جزئية عن هذا السؤال اللازم الدقيق. بيد أنَّه ما يستحق الذكر أن نقرر منذ الآن أنَّ ما يحدث في السنوات

القلائل الأولى من الحياة أمر له أهميته الأساسية في تكوين اتجاه نفسي سليم نحو الجنس. وأن الحقائق الفسيولوجية الرئيسة ينبغي أن يفهمها الأطفال فهماً تاماً قبل أن تدهمهم فترة المراهقة. وثمة أسباب رئيسة ثلاثة لهذا الاقتراح القائل إنَّ التعليم المبني على معرفة حقيقة الأمور الجنسية ينبغي أن يكتمل جيداً في الفترة السابقة للمراهقة، وأكثر هذه الأسباب وضوحاً هو أنَّ المراهقة فترة لها مشكلاتها الخاصة، وهي مشاكلات لها أصل جنسي في الغالب، وينجم عنها قدر كبير من القلق للشبان والشابات. ومما يساعدنا على تذليل صعاب تلك الفترة أن يعرف الأطفال مقدماً. ما التغييرات التي ينتظر أن تحدث بعد أن يصلوا إلى دور البلوغ. ولا يقلُّ عن ذلك في الأهمية ما يحدث إذ أرجأنا توضيح حقيقة الأمور الجنسية للبنين والبنات حتى يبلغوا الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمرهم، فإنَّ غالبية البنين والبنات في العصر الحديث يكونون قد التقطوا معلومات كثيرة من هنا وهناك، وجلُّها معلومات مسممة. أمَّا الحقائق وهي نظيفة في حد ذاتها. فإنها تكون قد تلطخت بأدران المسالك التي مرَّت بها. ولما كان من الواجب أن نتقبل أمور الجنس كشيء عادي سليم، وجب أن تتم معرفتها في جميع المراحل بكيفية عادية سليمة. وهذا يحتِّم علينا ألاَّ نهيئ لخلان الشوارع ورفاق اللعب فرصة عام أو عامين يسممون فيها أفكار الصغار قبل أن يعرض عليهم الآباء المعلمون ما يناسبهم من الحقائق الجنسية. غير أنَّ أهمَّ ما يدفعنا إلى القول بضرورة التعليم الجنسي المبكر هي الحقيقة التي تمخضت عنها التجارب. فقد دلَّت التجربة على أنَّ التعليم حينئذ يكون أكثر قبولاً من جانب الأطفال أنفسهم، ويفيدهم بشكل أسرع وأقرب إلى الطبيعة، أمَّا في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة فإنَّ الشباب والشابات يكونون قد شرعوا في تكوين اتجاهات انفعالية

نحو الأمور الجنسية مما يقيم الصعاب في طريق التعليم، ولكنّهم قبل سن المراهقة يتقبلون ما يقال لهم عن الجنس والتناسل دون أي أثر للخجل والارتباك. وثمة نواح معينة من التربية الجنسية لا تناسب الأطفال، ولا يمكنهم فهمها تماماً إلاّ عندما يبلغون مرحلة معينة من مراحل نموهم. فهنالك بعض معلومات أفضل ما تعرف في فجر المراهقة، وأخرى في أواخر فترة المراهقة، وبعضها قبل الزواج وبعضها الآخر بعد الزواج وبعضها قبل إنجاب الأطفال والأخرى بعد ذلك. وكلُّ ما نحتاج إليه هو التفكير السليم مع مراعاة الحرص والتفاصيل في أفضل سن يناسب كلّ مرحلة من مراحل التربية الجنسية.

٢- دور الأسرة في التربية الجنسية :

للوالدين دورٌ أساسيٌ في التربية الجنسية، لا يستطيع أحد غيرهما أن يقوم بهذا الدور، كما هي الحال في تأثيرهما الكبير في تكوين نظرة الأبناء العامة إلى الحياة. فالجو السليم في المنزل فيما يتعلق بتفهم طبيعة الجسد الإنساني، ونموه وتبدلاته ووظائفه، وجو المصارحة والانفتاح يجعل الطفل، الطفلة، أقلّ تفاجئاً بالتبدلات التي تطرأ على الجسد. وهذا يخفف عند كلّ منهما، وبالتالي من الانشغال الشديد والدائم بجسد الجنس الآخر، وبذلك لا يقع الأبناء الأبرياء ضحايا لأخطاء التربية الجنسية التي قد يتعرضون لها من هنا وهناك، والآثار السلبية التي يخلفها الفشل والخيبة وفقدان التوازن العاطفي.

٣- الأسئلة الجنسية التي يطرحها الأطفال :

من أكثر خصائص الأطفال مدعاة للبهجة والسرور ميل دائم للاستطلاع وتعطش للسؤال لا تروي غلته الإجابة العابرة، حتى لينفد صبر

البالغين ويقصر جهدهم عن إشباعه. فلا يكاد يستوقف نظر الطفل أمر من الأمور حتى نرى الأسئلة تتوالى بعضها إثر بعض دون توقف أو انقطاع وكأن كلَّ إجابة تفتح السبيل لفيض جديد من الأسئلة. ومن الطبيعي أن تدور بعض هذه الأسئلة حول مسائل الميلاد والتناسل والجنس مادامت هذه المسائل من الجوانب المهمة للحياة. والأب الذي يرحب بتزويد طفله بالمعلومات عن مركز الكون وعن الشمس مثلاً، والذي يشرح عن طيب خاطر كيف يسير العمل في المصانع المختلفة، وكيف تختلف الحيوانات بعضها عن بعض يحرج ذات يوم عندما يسأل الطفل نفسه، من أين أتى وهل هناك فروق بين الذكور والإناث؟ ولسوف تذهب الظنون بالطفل الصغير إذا أجابه والده عن أسئلته الأولى بسرور وإخلاص بينما يحاول في الثانية أن يتهرب ويخادع. وإذا كانت هذه الأمور قد أقلقت أباه وأمه قلقاً بدا على محياهما فسوف يظن فيها شيئاً شاذاً خافياً. فإذا وقف الطفل ذات يوم على ما كان في إجابة والديه من مجانبة للحقيقة فإنَّ ثقته بوالديه لابدَّ أن تتزعزع.

وكانت هنالك إجابة تقليدية شائعة على كلِّ شفة ولسان، فإذا ما سأل الطفل والديه من أين أتى، أجابوه في لهجة اليقين بأنه هو وأخوته لم يولدوا وإنما عثروا عليهم في الحديقة تحت الشجرة أو تحت سلم المنزل ... الخ غير أنَّ هذه الإجابة التقليدية قد أخذت تتغير في السنوات الأخيرة، وأخذ موقف الوالدين من مثل هذه الأسئلة يتجه اتجاهاً يفضّل توخي الصدق في الإجابة حتى أننا لم نعد بحاجة إلى الدفاع عن هذا الاتجاه الجديد بقدر حاجتنا إلى بحث خير الوسائل لتحقيقه وثمة مبادئ أساسية ينبغي أن نهتدي بهديها في تحقيق تلك الغاية ألا وهي:

أ - إن الطفل لا يعتبر أي سؤال يسأله قبيحاً. فلا ينبغي أن يقابل أي سؤال من أسئلته بكيفية يفهم منها أنه كان أولى به أن لا يسأله.

ب - أن نسوق الإجابة عن موضوع ولادة الطفل في لهجة طبيعية غير متكلفة، لأنَّ هذا الأمر لا يتطلب منا لهجة خاصة أو نبرات معينة أكثر مما تتطلبه إجابتنا عن سؤال له في أيِّ موضوع آخر. ولنعلم بأنَّ الطفل سوف يتقبلهما على هذا النحو.

ج - يحتم مراعاة سن الطفل عند الإجابة فليس معنى تجنب الخداع في الإجابة أن نقدِّم الحقيقة إلى الطفل في جرعات قوية، وإنَّما ينبغي أن توزع بحكمة في جرعات تتناسب مع درجة ميله للاستطلاع ومستوى معلوماته وإدراكه وكيفية استجابته من الناحية الانفعالية.

د - على الوالدين أن يفكِّروا مقدماً في الإجابة عن أسئلة الأطفال المحتملة حتى لا يفاجئهم الموقف وهم على غير استعداد بسبب نشأتهم الخاصة.

والأطفال لا يسألون الأسئلة المتعلقة بالجنس في طفولتهم فقط، وإنَّما يسأل الصبي والده عن دور الأب في الإنجاب وتعدُّ هذه الأسئلة في نظر كثير من الآباء حرجاً ما بعده حرجٌ، ولكنَّ الأمر غير ذلك، وعلينا ألاَّ نعدَّها محرجة، ولننظر إلى الأمر من وجهة نظر الطفل. فالسؤال بالنسبة للطفل سؤال طبيعي تماماً، وهو على حق في توجيهه. ولسوف تكفيه الإجابة متى كانت صادقة لم يشبها تبرم الوالد أو ارتباكه، وما لم يلجأ فيها الأب إلى الخداع. ولهذا ليس من الحكمة في شيء أن نصدم الطفل بقولنا (دع هذا السؤال حتى تكبر) والملاحظ أنَّه كلما كان الطفل أكبر سناً كلما تبرم الأب من تلقي مثل هذا السؤال.

غير أننا نرى أنَّ الوقت المناسب للإدلاء بالمعلومات في تلك الناحية هو عندما ينشدها الطفل، وليس عندما يظن الوالد أنَّ الطفل قد وصل إلى السن المناسبة للإفضاء إليه بتلك الحقائق وهو عندما يتخطى سناً معينة تكون قد بدأت بداية مصطنعة، وعالجت المشكلة علاجاً خاطئاً. إنَّ التصرف السليم يقوم على أساس توفير جو من الثقة في المنزل، عند ذلك يتلهف الطفل إلى المعرفة. وإذا لم يكفه والده فيمكننا أن نتأكد من أنَّ الطفل سيلجأ للبحث عن الجواب من مصادر أخرى قد تكون غير موثوقة.

٤ - الأسئلة الجنسية التي يكررها الأطفال باستمرار:

لقد قامت الكاتبة بدراسة حول أسئلة الأطفال وتبيَّن أنَّ ٢٣,١% أسئلة جنسية من بين مجموع أسئلة الأطفال، وعندما رتبت الكاتبة أكثر أسئلة الطفل تكراراً وجدت التسلسل التالي وهو مرتب من السؤال الأكثر تكراراً من مثل:

١ - كيف دخلت إلى بطنك يا ماما ؟

٢ - من أين أتيت أنا وأخوتي ؟

٣ - كيف يخرج الطفل من بطن أمه ؟

٤ - ما الفرق بين البنت والصبي ؟

٥ - لماذا للأم صدر وليس للأب صدر ؟

هذه الأسئلة الخمسة تتكرر بشكل دائم عند أطفالنا وبالذات الأطفال دون السادسة من العمر.

لن نضع إجابات محددة لهذه الأسئلة، وإنَّما يجب أن تتناسب الإجابات مع عمر الطفل ومستوى وعيه وعلينا أن نكون واضحين صادقين قدر الإمكان، فلو قلت له إنه عندما يعيش الأب والأم معاً من خلال الزواج يتكون

في بطن الأم جنين يكبر ويخرج إلى هذه الدنيا فالطفل في بطن الأم يتكون وينمو نتيجة الزواج والطفل يخرج من بطن أمه من فتحة خاصة في جسم الأم لا نستطيع أن نراها والفرق بين البنت والصبي ليس أمراً صعباً فلا مانع أن يرى الطفل أخته الصغيرة أثناء الحمام وأن ترى الطفلة الصغيرة أخاها أثناء الحمام، وهنالك ألعابَ في السوق تمثّل ذلك، وعلينا شراءها للأطفال وأخذ الأمر بمنتهى البساطة وللأم صدر لأنَّ عليها أن ترضع أطفالها فالله سبحانه وتعالى جعل من وظيفة الأم الإرضاع أمَّا الأب فلا يرضع الصغار لذلك ليس له صدر. وعن الفرق بين البنت والصبي نقول البنت خلقها الله هكذا والصبي هكذا لكي نعيش معاً في هذه الدنيا ذكوراً وإناثاً.

هذه الإجابات بسيطة جداً وبرأي مقنعة للطفل ريثما يكبر أكثر ويصبح أقدر على الاستيعاب، والمهم ألاَّ نحبط الطفل ونخجل من الإجابة ونخجله ونقمعه فكما أشرنا في فصل الحوار علينا أن نتحاور مع الطفل ببساطة وسهولة وبشكل مريح يجعل الطفل قادراً على الاستمرار في أسئلته.

وعلى الأسرة أن تتحدث أمام أطفالها عن التكامل بين الجنسين وبشكل طبيعي يتماشى مع المرحلة العمرية لطفلهم.

٥- نصائح وتوجيهات لابدَّ منها:

١- أوصي الأهل برفع ثقافتهم الجنسية بصورة مستمرة، ولاسيَّما فيما يتعلق بمفهوم الجنس وطبيعة الأعضاء التناسلية ووظائفها، وأهميتها بالنسبة للإنسان.

٢- لا بدَّ للأهل من التعامل مع الأطفال من الجنسين بما يتناسب مع طبيعة تكوين كلٍّ منهما (الذكور - الإناث) وعدم الإفراط في أمور التمييز الجنسي وإعلاء شأن أحدهما على الآخر.

٣- لا يجوز ضرب الطفل عندما يلمس عضوه لأنَّ هذا يجعله أكثر عزماً على متابعة التصرف. وينصح أن نلهيه بنشاط آخر فور حدوث هذا السلوك. والطفل يلمس عضوه الجنسي لأنه يحب الاكتشاف (اكتشاف الجسم)

٤- إنَّ كثرة أسئلة الأطفال الجنسية بين سن الثالثة والرابعة وكثرة لمسهم للعضو الجنسي هو فقط تعبير عن خوف معين ينبع من مزيج من القلق والغموض اللذين يرافقان إجمالاً اكتشاف الفروقات الجنسية. ونحذر من تهديد الطفل نتيجة لأيِّ سلوك أو سؤال جنسي لأنَّ هذا يزرع في نفسه مخاوف عميقة تؤثر سلباً على تطوره الجنسي لاحقاً.

٥- ابتعدوا عن الخرافات في إجاباتكم عن أسئلتهم فالطفل يعرف الخرافة من الحقيقة ويميزها رغم سعة خياله، لكنَّه يرى بطن أمه الكبير ثم يرى صغر حجم البطن فكيف سيقتنع أننا اشترينا الولد من المستشفى مثلاً.

وتأمل الكاتبة أن تكون قد قدَّمت شيئاً جديداً ومفهوماً حول أسئلة الأطفال الجنسية آملة أن نبتعد عن الأخطاء التي يرتكبها الآباء عادة بالخجل من الإجابة أو تأجيلها أو تجاهلها.

ج - الأسئلة حول الموت :

يقول الدكتور سبوك في كتابه مشاكل الآباء في تربية الأبناء (ليست هناك طريقة سحرية تضمن لنا عدم إصابة الطفل بالقلق والشكوك. ولكن عندما نواجه الطفل بهدوء ونتحدث إليه باطمئنان فإنَّ الإحساس بالأمان ينتقل إلى أعماق الطفل).

ننطلق من هذا القول لنعالج موضوعاً مهماً جداً في هذه الحياة وهو الموت، فهو حقيقة من حقائق الحياة، وكثيراً ما يقف الآباء حائرين تجاه تفسير ظاهرة الموت للطفل الصغير، وغالباً ما يبدأ الطفل بطرح هذا السؤال بعد موت أحد أقاربه أو جيرانه أو ..الخ، أو أحياناً يطرح الطفل سؤاله إذا مات حيوان عزيز لديه (قط – كلب – عصفور) .

والحقيقة هنالك صعوبة في تفسير ظاهرة الموت للأطفال وكثيراً ما يلجأ الآباء إلى إجابة نعرفها جميعاً وهي لقد ذهب الفقيد إلى الجنة... لقد ذهب إلى السماء... ولقد بلغت نسبة الأسئلة حول الموت التي يطرحها الأطفال من مجموعة أسئلتهم ببحث قامت به الكاتبة نحو ١٧,٥% من مجموع أسئلة الأطفال.

١- ردود فعل الأطفال تجاه الموت :

ترى نظريات علم النفس الجديدة أنَّ الطفل في الواقع كائن ديناميكي. يتفاعل مع المثيرات والأحداث منذ ولادته. وهذا ما غير التوجه نحو الأطفال على مستويات كثيرة، ومن ضمنها ردود فعلهم تجاه الموت. ولو بدا الطفل غير مكترثٍ لحدث الموت أو متأثراً إلاَّ أنَّ لديه ردود أفعال داخلية قد تتجلى من خلال أسئلة يطرحها حول الموضوع.

وتثبت الدراسات العلمية أنَّ الأطفال في عمر ستة شهور يبدون حزناً وقلقاً نتيجة فقدانهم من يعتني بهم في ذلك العمر، وكذلك الأطفال الذين فصلوا عن أسرهم نتيجة الحرب، ولكن ردود أفعالهم تجاه الموت قصيرة الأمد ولكنَّها ليس سطحية وتدلُّ أبحاث أخرى على أنَّ فقدان الأطفال أحد أقطاب الأسرة الرئيسة (أب، أم) يؤثِّر في حياته النفسية المستقبلية ويظهر ذلك

على شكل أعراض مختلفة منها التبول الليلي، والمشاكل الدراسية والأوجاع الجسمية، وبعض السلوكات العدوانية، وقد يتحول الأمر إلى اكتئاب في سن البلوغ.

ولم تحدد الأبحاث بعد بشكل دقيق أي سنين الطفل أخطر على مستقبله إذا فقد فيها أحد أبويه، ولكن من المتفق عليه أنَّ معظم المشاكل النفسية سببها حوادث أليمة في الصغر.

٢- سؤال الطفل عن الموت :

تتكرر أسئلة الأطفال حول الموت بالقول لماذا مات فلان؟ ومتى سيعود؟ وما معنى الموت؟ ولماذا لم نأخذه للمستشفى حتى يتداوى؟ وأسئلة من هذا القبيل.

وكلُّ ما سبق يندرج بسؤال واحد لدينا نحن الكبار كيف نفسِّر للطفل ظاهرة الموت؟

إنَّ الطفل يصاب بالقلق عندما يرى هذه الظاهرة، فهو يقلق على نفسه، وطفل الثالثة من العمر أو الرابعة يكون في مرحلة التطور الوجداني بصورة يطبق فيها كلَّ شيء على نفسه سواء أكان خيراً أم شراً، فعندما يشاهد الطفل إنساناً يقود سيارة يتخيل نفسه مكان الرجل الذي يقود السيارة، ويتخيل كيف يمكن أن يقود السيارة بنفسه، كما يتخيل مدة السعادة التي يلقاها من هذه العملية، ويبدأ بتمثيل دور السائق. وبالمقابل عندما يرى القبور يسأل عنها، ويسأل عمن داخلها، ثم يقول هل سأموت أنا أيضاً؟ وأوضع هنا وهنا، ويزداد قلقه لأننا نعلم جيداً أنَّ رغبة الحياة عند الطفل رغبة قوية جداً.

قد يلجأ الآباء لتفسير ظاهرة الموت للأطفال بأنَّ كبار السن هم الذين يموتون نتيجة التعب ولكن الطفل قد لا تقنعه هذه الإجابة، ومعظم الأطفال يحاولون إبعاد هذه الفكرة عن أذهانهم مثلنا نحن الكبار تماماً، فالطفل الذي يصبح هذا الموضوع هاجسه وشغله الشاغل لدرجة أنه يدخل في أحلامه عادة يكون طفلاً شديد الاتكال على الأهل، عديم الثقة بالنفس، والطريقة المحددة التي يفسِّر بها الموت للطفل هي عادة أقل أهمية من درجة القلق الذي يكون مستحوذاً الطفل، قبل أن يسمع بمشكلة الموت.

وتأتي أسئلة الطفل الأولى عادة، بصورة مفاجئة، وعلى غير توقع الأمر الذي لا يمهل الأب ليضع التفسير المناسب، أمَّا الأب الذي يكون خالياً من الوساوس تجاه الموت، فإنَّه يكون قادراً على صياغة الكلمات المطلوبة بطريقة تتضمن أنَّ الموت بعيدٌ جداً، وأنَّه لا يستحق كلَّ هذا القلق من الآن.

وأفضل جواب هو أن نقول للطفل إنَّ الموت لن يأتي الآن، وهو بعيد جداً، ولكن الأهمَّ ألاَّ نصف ذلك الوصف الذي يقول الميت كالنائم، لأن هذا يجعل الطفل يخشى من النوم، وقد يكون طفلنا سأل عن الموت لأنَّ طفلاً قد مات عندئذ نحرج وعلينا أن نشرح له أن مرضاً شديداً قد أصابه ثم نغير الموضوع ونغمر الطفل بالحب والحنان ونلهيه بنشاط آخر.

ولكن هنالك حالات خاصة جداً، وهي موت أحد أفراد الأسرة بمعنى ان يصل الموت إلى البيت الذي يعيش فيه الطفل، وهذا يدفعنا إلى مناقشة الموضوع كيف نساعد الأطفال في حالة موت أحد أفراد العائلة.

- موت أحد أفراد الأسرة :

تكون علاقة الطفل بالموت إذا ما مات أحد أفراد العائلة مزيجاً من الإحساس بالحسرة والقلق، وتستمر هذه الأحاسيس بين الحزن والقلق لمدة قد

تصل إلى شهر أحياناً. وقد يشعر الطفل بشعور الافتقاد عند موت أحد أفراد الأسرة كالأخ أو الأخت. بالإضافة لحزن حاد في نفس الطفل. وهذا الحزن نتيجة طبيعية لوعي تام بأنَّ من مات لن يعود.

وفي حال موت الأب أو الأم فإنَّ حزن الطفل قد يكون غاية في العنف، ويعلن الطفل في كلٍ يوم عن رغبته في رؤية من مات، ويرافقه شعور بأنَّ أيَّ مشكلة كان من الممكن حلُها بسهولة لو أنَّ الأب موجود أو الأم موجودة، وكلما احتاج إلى تحقيق رغبة ما يتذكر على الفور من مات. فالصورة مؤلمة والحزن يرافق الطفل بشكل حاد ومؤلم، ويتجدد الحزن والأسى كلَّ يوم، وقد يطول فترة من الزمن طويلة بعض الشيء إلى أن تأتي علاقات جديدة في حياة الطفل تملأ الفراغ العاطفي الذي يعاني منه. مع الأخذ بالحسبان الفروق الفردية بين الأطفال في أساليب تعبيرهم عن الحزن. فمنهم من يبكي فترات طويلة، ومنهم من يتمتع بشخصية قادرة على الكتمان بحيث يكون الطفل من الداخل يتضرع حزناً لكنه يضبط انفعالاته في الوقت نفسه، وعادة تلجأ البنات للبكاء على عكس الذكور الذين عادة ما يحاولون ضبط انفعالاتهم نتيجة للتنشئة الاجتماعية التي تحذر الذكور من البكاء حتى لا يتشبهوا بالإناث، ولكن ضمن الجنس الواحد يختلف التعبير عن تلك المشاعر، وهنالك بعض البنات لا تلجأ للبكاء، وهذا يعود لكونهن من أسرة الأم فهي قادرة على ضبط انفعالاتها أو لعلَّ البنت أخذت والدها قدوة لها.

وقد يشعر بعض الأطفال بالذنب تجاه موت أحد أفراد الأسرة ظناً منهم أنَّهم سببٌ في موتهم، ولكن كلما كبر الطفل ازدادت معرفته بالأسباب الحقيقية للموت بحيث يزيل ذلك آثار أحاسيسه البدائية بأن نواياه الخبيثة هي التي كانت السبب في حدوث الموت. وعلى الأسرة التي فقدت أحد أقطابها أو

أولادها أو نتحدث بشكل طبيعي عن موت هذا الشخص بدون افتعال أو مثالية زائفة. لأنَّ هذا سوف يساعد الأطفال على تكيفهم مع حادث الموت الذي يعيشونه.

٣- أساليب الإجابة عن أسئلة الأطفال حول الموت :

إذا لاحظ الطفل غياب أحد الأشخاص. وسأل أين فلان؟ فإنْ كان هذا الشخص قد مات فإنَّ على الأسرة ألاَّ تضلل الطفل وتقول له إنَّه مسافر. لأنَّ الطفل يبقى على أمل اللقاء به. ولكن على الأسرة (أب، أم) أن تجيب الطفل بصراحة وتقول له إنَّ هذا الشخص قد مات. وقد يسأل الطفل ما معنى الموت؟ عندئذ نجيبه بأنَّ ذلك يعني فقدان قدرة الشخص على الحركة والكلام والطعام والشراب... والنفس فإذا سأل الطفل لماذا؟ نجيبه لأنَّ روحه فارقت جسده. وقد يسأل الطفل إلى أين ذهبت روحه نجيبه أنَّها صعدت للسماء إلى رب العالمين.

وقد نستطيع أحياناً استباق الأمور، وقبل أن يتعرض الطفل لموقف فيه موت نطلعه على دجاجة ميتة أو عصفور أو قط ميت، لأنَّ هذا يوضِّح للطفل مفهوم الموت بشكل محسوس، ولا أتوقع أن تقف التساؤلات عند هذا الحد. لنكن صريحين معه، ولنطمئن قلبه بأنَّه لن يحدث الآن.

وقد تزداد تساؤلات الأطفال لتصل إلى مرحلة طرح أسئلة لماذا لا نضع للميت طعاماً؟ سريراً؟ ومتى يستيقظ؟ ولتكن إجاباتنا صريحة مطمئنة محاولين مساعدة الطفل على النسيان بشغله بأمور أخرى. والتوضيح له أن الميت لا يحتاج للأمور السابقة.

٤ – نصائح للإجابة عن أسئلة الأطفال حول الموت:

١- لا تعتقد أنَّ طفلك لا يفكر بالموت فهو يسمع عنه من عدة مصادر لذلك لا تتجاهل أسئلته.

٢- لا تستخدم عبارة سافر لأنَّك بذلك تجعله ينتظر أملاً لن يتحقق.

٣- حاول أن تجهز طفلك لمفهوم الموت من خلال الأشياء التي تموت في الطبيعة (أزهار – أشجار – نباتات – حيوانات).

٤- لا تخبئ عنه حقيقة أين؟ وماذا نفعل بالميت؟ بل قل له إنَّ للأموات مساكن خاصة بهم وهي القبور ولا تخفي عليه معنى القبر حين يسألك عندما يراها.

٥- لا تحاول إخفاء سيرة الميت وحاول الإجابة عن تساؤلات الطفل.

٦- اسمح للطفل بالتعبير عن مشاعره تجاه الميت، والحديث عنه ليس لمجرد إطلاق المشاعر إنَّما لتسهيل عملية الفراق بين الطفل والميت.

٧- إذا كان الموت لأحد أفراد الأسرة حاول ملء الفراغ العاطفي الذي حصل عند الطفل لأنَّ الطفل بالمحبة لشخص آخر يساعده أن يعيش وينشغل عن التفكير بالميت.

٨- قد يعود الطفل بعد حادثة الموت لسلوكات غير مرغوبة مثل (مص الأصبع – التبول الليلي) أو تصرفات أخرى كان يتصرفها سابقاً علينا ألاَّ نقلق بل تلبية حاجات الطفل وتهدئة مخاوفه.

٩- إياكم أن تشعروا الطفل بأن سبب موت أي شخص هو شخص آخر أو أن الطفل نفسه بل عليكم أن تفهموه أنَّ الموت خارج عن إرادة أيِّ إنسان وخارج عن إرادة الميت نفسه.

نتيجـة :

إنَّ ظاهرة الموت أكثر الظواهر الإنسانية غموضاً. ولكونها كذلك، فإنَّها تثير الكثير من الأحاسيس والمخاوف. ففقدان أحد أفراد الأسرة من أكبر الصدمات الشعورية التي قد يواجهها الأطفال. وإذا لم تعالج بالشكل المناسب. وفي الوقت المناسب يكون لها أثر طويل على المدى البعيد على شخصية الطفل. لذا ننصح إعادة النظر في وضعهم النفسي، وردود فعلهم، وإمكانية مساعدتهم على مواجهة موت أحد أفراد اسرهم بشكل أفضل مما يمنع تعرضهم لآثار سلبية تلازمهم طوال حياتهم وتؤثِّر على شخصياتهم.

د – الأسئلة الدينية :

١– الطفل والدين :

من المسلَّم به أنَّ ما يؤمن به الآباء ينعكس على إيمان الأطفال، فالطفل من لحظة ميلاده يملك الاستعداد لأنَّ يمنح من حوله الحنان والحب، ويظهر ذلك بوضوح عندما يبتسم بالحماسة والشغف حين يبلغ عمره شهراً أو شهرين، فالطفل تزداد ثقته القوية بنفسه وبوالديه بقدر ما يحاط من محبة وحنان وعطف، وينعكس ذلك على حبه للآخرين، وحبه لله سبحانه وتعالى، والوالدان بالنسبة للطفل قدوة يحتذى بهما فمحبة الله يستمدها من إيمان والديه وتصرفاتهما.

وعندما يتحدث الوالدان إلى الطفل عن الإله فإنَّهما يميلان إلى تأكيد الصفات والقدرات الإلهية التي يؤمنان بها، ويحرصان أن ينتقل هذا الإيمان إلى الطفل. ونلاحظ اختلاف الأهل بالأسلوب المستخدم فبعضهم يحكي عن الإله بشكل قاس، ويسرف في تأكيد هذه الصفة.

وكلما كان الوالدان يتمتعان بالحنان والعطف كلما كان الطفل أكثر إيماناً بالله سبحانه وتعالى.

ولكي نُكوّن طفلاً مؤمناً بالله علينا أن نبدأ معه منذ المراحل الأولى نعلمه شكر الله، ونذكر الله أمامه لنشكّل مشاعره الصادقة الدافئة.

٢- أساليب التربية الدينية :

يبدأ الطفل بالتساؤل حول الخالق، وتبدأ الأسرة بتوضيح الحقائق الدينية للطفل، خاصة تلك التي تؤمن بها، ويتحدث الأبوان عن الخالق بمشاعر حب وإخلاص وخشوع وإيمان يتحدثان مع الطفل عن كائن مقدس، وهنا يقدّس الطفل الإله.

والأسرة الواعية هي التي تؤكّد على التعاليم الإيجابية للدين، بمعنى أنّها تبتعد عن ذكر العقاب والنار ونذكر للطفل الثواب وخاصة في مرحلة العمر بين (٣-٦) سنوات.

والمشكلة الكبرى هي عندما تكون الأسرة لا تؤدّي الشعائر الدينية، ولا تمنح أطفالها أيَّ نوع من التدريب على شعائر العبادة رغم إيمانها بالمعتقدات الأخلاقية، ولكنهما يكتفيان بالإيمان بأنّ الدين معاملة فقط، والطفل عندما يذهب للمدرسة، ويختلط بأقرانه، ويسمع عن الجنة والنار والطقوس الدينية والعبادات، وهذا ما يثير اهتمام الطفل، ويثير في نفسه أسئلة لا نهاية لها، ويحاول أن يبحث عن الإجابة ضمن الأسرة بالوقت الذي لا تقوم به الأسرة بأيّ نوع من أنواع العبادة.

٣- أسئلة الطفل الدينية :

تكثر أسئلة الأطفال الدينية في سن الرابعة وأول سؤال يطرحه أين يوجد الله؟ وهنا أنصح الآباء أن تكون إجابتهم إجمالية دون تفصيلات يكفي أن نقول ربنا في السماء... بعيد... فوق ولأنه عالٍ جداً جداً يستطيع أن يرى كلَّ الناس.

وعندما يبلغ الطفل السابعة من عمره يستمرُّ في طرح سؤال، هنا نستطيع أن نقول له إنَّ الله في كلِّ مكان وهو أكبر من الجميع يرانا ولا نراه ونشعر بوجوده معنا في كلِّ زمان ومكان. وقد يسأل الطفل:

هل الله إنسان مثلنا؟

حاولوا هنا أن تجيبوا الطفل ضمن نطاق تفكيره المحدود فتسأل الطفل هل نستطيع أن نقول نحن البشر لشيء كُنْ فيكون؟ ويجيب الطفل لا، وبذلك نستنتج مع الطفل أنَّ الله ليس بشراً إنَّما مصدر قوة وخير.

وإذا كان عمر الطفل فوق الخامسة نقول له لو كان الله إنساناً لمرض وأكل وشرب ومات لكن الله لا يمرض ولا يأكل ولا يشرب بدليل أنَّه موجود دائماً وأنَّه خالق السموات والأرض.

وبعض الأطفال تسأل :

أين توجد الجنة؟ وما شكلها؟

وإجابتنا هنا ستكون من الكتب المقدسة (الجنة مكان يذهب إليه الصالحون جميلة رائعة مريحة ونصفها له كما جاءت في الكتب المقدسة والقرآن الكريم).

٤- نصائح للآباء والأمهات :

١ - كنْ قدوة لطفلك في تنفيذك للشعائر الدينية.

٢ - لا تستخدم أسلوب إخافة الطفل من الله وأن الله سيعاقبنا وسيحرقنا في النار.

٣ - تحدثْ دائماً عن ثواب من ينفذ التعاليم الدينية.

٤ - اربطْ بين الدين والقيم الأخلاقية.

٥ - اقرأ على أطفالك قصص القرآن الكريم فهي متوافرة في الأسواق بشكل مبسط ومفهوم.

٦- اجعلْ تربيتك لطفلك تربية دينية خالية من التعصب.

٧- عودْ طفلك سماع آيات من ذكر الله الحكيم منذ أن يكون رضيعاً، لأنَّ هذا يقوّي عنده حب الله، ويزيد من قدراته اللغوية ويشجعه على القراءة.

هـ - الأسئلة السياسية :

يتعرض الكثير من الآباء والأمهات في هذه الأيام إلى أسئلة على درجة من الصعوبة والإحراج، يطلقها الأطفال ببراءة وعفوية، وإذا أصبح لدى الآباء أجوبة شبه جاهزة لأسئلة الصغار، فإننا في هذه الظروف الصعبة قد لا نجد أجوبة مقنعة لبعض الأسئلة التي يطرحها الأطفال الصغار، والتي ترتبط بالوضع الحالي الذي تمرُّ به الأمة العربية. إن ما يشاهدونه على شاشات التلفزة من قتل وتدمير في فلسطين والعراق وأفغانستان ولبنان كفيل بأن يشكِّل لدى الأطفال سيلاً من الأسئلة قد نعجز نحن الكبار عن إيجاد إجابة لها وقبل الدخول في هذه الأسئلة لابدَّ من التحدث قليلاً عن التنشئة السياسية للطفل؟

١ – مفهوم التنشئة السياسية للطفل :

حتى تؤدّي التنشئة السياسية ثمارها لابدّ من أن تبدأ في مرحلة مبكرة من حياة الأطفال، وتكون البداية نوعاً ما في سن الثالثة من العمر عندما نعلم الطفل رموز وطنه، ونربطه به عاطفياً فالتنشئة السياسية للطفل هي عماد التربية السياسية للأفراد. إذ أنّ تقديم القيم السياسية التي يتبناها النظام في بلد ما وبثها في نفوس الصغار يساعد على التخفيف من حدة الاضطرابات والتوترات الاجتماعية والسياسية في المستقبل.

ومن هنا يمكن تعريف التنشئة السياسية حسب رأي لينجيتون بأنّها: (عملية بث مجموعة من التصورات والمفاهيم والمبادئ إلى عقلية الطفل بحيث يتعلم عن طريقها أنماط السلوك المناسبة وتشكل اتجاهاته نحو جيله ونحو الجيل التالي له وذلك تمهيداً لدمجه في النظام السياسي القائم).

ومن الجدير بالذكر أنّ مفهوم التنشئة السياسية للطفل يختلف عن مفهوم التنشئة السياسية للكبار. فالكبار يعدون للمشاركة في الحياة العامة السياسية من خلال الانضمام للأحزاب، أمّا الصغار فإنّهم يتعلمون أمور المبادئ العامة الكلية في مجال التنشئة السياسية، وهم داخل مفهوم التنشئة الاجتماعية. فالتنشئة السياسية بعد من أبعاد التربية بمعناها العام تتطور من خلالها شخصية الطفل، ويكتسب فيها مجموعة من المعلومات والمفاهيم والقيم والاتجاهات والقناعات، وما يرتبط بها من عادات وسلوك ومهارات تساعده على فهم العالم السياسي الذي يعيش فيه، وتساعد على أن يؤدّي دوره فيه فيما بعد بوعي وخلق وكفاءة ومسؤولية. وتستمر من مرحلة الطفولة إلى ما بعد ذلك.

وتعدُّ الأسرة والمؤسسات التعليمية والرسمية، كالمدارس والمعاهد والجامعات من أهمّ وكالات التنشئة السياسية في المجتمع وكذلك وسائل الإعلام بأشكالها كلّها ودور العبادة والأحزاب والرفاق... الخ

وبذلك نلاحظ أنّ الأسرة عنصر أساسي في التنشئة السياسية للطفل، لذلك عليها تطبيع طفلها في إطار الخصائص العامة والتوجيهات الإيديولوجية والسياسية التي يتبناها المجتمع، فالأسرة مسؤولة عن تعليم الطفل حقيقة مهمة جداً وهي وجود سلطة خارجة للكبار سواء في الأسرة أم المدرسة، ثم تعلم طفلها أنّ هنالك شخصيات سياسية قيادية في المجتمع. وأن تقدّم له مجموعة من قيم التنشئة السياسية كقيم الانتماء والحرية والعدالة والمبادأة والإيثار والتعاون والنظام.

٢- دور الأسرة في التنشئة السياسية للطفل :

الأسرة هي المكان الأول الذي يتلقى فيه الطفل تنشئته الاجتماعية، والتي تعدُّ التنشئة السياسية من ضمنها. فالأبوان هما الأشد تأثيراً في سلوك الطفل ونموه الاجتماعي، وهذا يتطلب أن يكون الأبوان على قدر من الوعي السياسي حتى يتلقى الطفل النماذج السلوكية السياسية السليمة. إذ أنّ الطفل يتأثر بالقدوة والقدوة الأولى له هي الأسرة، فالأسرة المتسلطة تنمّي لدى الأبناء قيم الإكراه والسلبية على عكس الأسرة الديمقراطية والحوار، وتعلمه أسرته القيام بواجباته والمطالبة بحقوقه من خلال الحوار والتفاهم معه، كما تعلمه احترام ملكية الآخرين والحفاظ على الممتلكات العامة التابعة للدولة، وهذا كلُّه يدخل ضمن التنشئة السياسية للطفل.

والحوار الذي نؤكّد عليه في كتابنا هذا هو أسلوب من أساليب التنشئة السياسية للطفل. فمن خلاله تستطيع الأسرة أن تفسّر لطفلها المفاهيم السياسية.

٣- الأسئلة السياسية التي يكررها الأطفال :

لوحظ أنَّ أسئلة الأطفال السياسية تتكرر وتزداد عندما تكون البيئة المحيطة بالطفل مشحونة بمجموعة من الأحداث السياسية، وقد كثرت في أيامنا هذه تلك الأحداث وازداد القتل والتدمير من أفغانستان إلى العراق إلى فلسطين ولبنان. وتسهم شاشات التلفزة في دفع الطفل للتساؤلات المختلفة التي يطرحها على المحيطين به. ويقف الآباء حائرين كيف يمكنهم ايصال تلك الأفكار وشرح تلك الأحداث للأبناء.

ومنهم من يقف موقفاً سلبياً من تلك الأسئلة فيتجاهلها، ومنهم من يغرق في الشرح والتفسير فلا هذا ولا ذاك، إنَّ إجابتنا عن الأسئلة السياسية للأطفال هي جزء مهمّ من تنشئتهم الاجتماعية والسياسية. لأنَّ الإجابة عن تلك الأسئلة توسّع آفاق الفكر السياسي لدى الطفل وتزوده بالتوجيهات الاجتماعية والسياسية والوطنية والثقافية.

٤- الأسئلة التي يطرحها الأطفال في المناسبات المختلفة:

- لماذا تقتل أمريكا الأبرياء ؟
- لماذا لا يأتي مارد جبار ويقتل أمريكا ؟
- لماذا لا يكون فلان من الناس حاكماً لذلك البلد ؟
- لماذا علينا أن ننشد نشيداً معيناً ؟
- لماذا ألوان علمنا هكذا ؟
- لماذا لا نضع علماً آخر ؟
- لماذا يقتل الأطفال الأبرياء ؟

وأسئلة أخرى كثيرة غير هذه .

وكثيرٌ من الأسئلة التي يصعب الإجابة عنها لما فيها من ألم وحزن ومرارة، وخاصة الأسئلة التي تدور حول القتل والتدمير والإرهاب، والمطلوب من الأهل تبسيط الأفكار للأطفال، وشرح الأسباب وفق ما تستطيعه قدراتهم الاستيعابية، وأن يستغلوا هذه المناسبة أو تلك، وذلك السؤال لبث المفاهيم السياسية التي تناسب مجتمعنا وزرع القيم التي تتبناها دولتنا. مما يسهم في تنمية وعي الأطفال بقضايا حاضرهم ومستقبلهم في ظلٍّ التغيرات المحيطة، وتنشئة الطفل السياسية مطلب أساسيٌّ في خطة التنمية الشاملة ليتمكن الأطفال من المشاركة مستقبلاً في الأحداث المحيطة بوعي وتفهم.

٥ - نصائح وتوجيهات لابدَّ منها:

- توفير مناخ أسري عام يتميز بوجود القدوة الصالحة.
- التخفيف من وطأة السلطة الوالدية على الطفل وعدم الإفراط في إصدار الأوامر.
- تهيئة جو من الحب المتزن والاحترام المتبادل بين الأطفال والآباء.
- حرص الوالدين على مكافأة السلوك الحسن للطفل.
- حرص الوالدين على تنمية جانب الاستقلال لدى الطفل.
- حرص الوالدين على الحياة الأسرية المنظمة مما يساعد على غرس قيم النظام في نفوس الأطفال.
- أن يسود الجو الأسري اعتقادٌ مؤداه أنَّ العمل المتقن أساس الحياة المتقدمة، وأنَّ المثابرة على إنجاز الأعمال المتقنة هدف رئيس في حياة الأسرة.

- معاملة الأطفال داخل الأسرة الواحدة بالعدل والمساواة.
- التزام الوالدين بالأقوال والأفعال والسلوكيات الصحيحة.
- قص القصص على الأطفال التي تجسد القيم المرغوبة.

وأخيراً وبعد أن تحدثنا عن التنشئة السياسية للطفل، والإجابة عن أسئلته السياسية، نستطيع القول إن الإجابة عن السؤال السياسي للطفل تكون مرهونة بمدى قدرة الطفل على الفهم والاستيعاب، لأنّ التنشئة السياسية للطفل هي عماد التربية السياسية للأفراد والمجتمع، فهي تمكّن الفرد من القيام بأداء دوره في المشاركة بخدمة وطنه.

لذلك لا نستطيع أن نتجاهل أسئلة أطفالنا السياسية لأنّها عامل مهمّ في عملية التنشئة السياسية للطفل فمن خلال الإجابة عنها تقوم الأسرة بتفسير المفاهيم السياسية للطفل وممارستها، فهي تزوده بتوجيهاتها الاجتماعية والسياسية والوطنية والثقافية.

خاتمة

تحدثنا عن الأسئلة التي يطرحها الأطفال باستمرار على آبائهم، باحثين فيها عن إجابات ترضي حبهم وفضولهم للمعرفة، وقد صنَّف الفصل أسئلة الأطفال إلى خمسة أنواع من الأسئلة وتمَّ مناقشة كلٍّ نوع على حدة.

وفيما يخصُّ الأسئلة العلمية فهي تحتل المرتبة الأولى في تساؤلات الطفل، ويدفعه إليها حبُّه للاستطلاع العلمي، والأسئلة العلمية دلالة على ذكاء الطفل، لذلك لابدَّ من الإجابة عنها، ولتكن الإجابة عنها من خلال الخبرة المباشرة والحسية.

أمَّا الأسئلة التي تحتلُّ المرتبة الثانية من تساؤلات الأطفال فهي الأسئلة الحسية، وغالباً ما يجد الآباء حرجاً في الجواب عنها، ويتساءل الكثيرون عن الطريقة التي سيجيبون بها، وتعرض الفصل للتربية الجنسية ليوضح متى وكيف تبدأ، وأوضح أنَّ التربية الجنسية تجمع بين التربية الصحية والتربية الخلقية، وللآباء دورٌ أساسيٌّ فيها، والإجابة عن الأسئلة المتعلقة فيها، لذلك يوصي الفصل بأن يهتم الآباء بثقافتهم الجنسية، وأن يبتعدوا عن تضليل الطفل بخرافات، لأن الطفل واسع الخيال، ولديه قدرة على المحاكمة، ولا يمكن أن يقتنع بإجابة غير مقنعة، وتأتي الأسئلة حول الموت في المرتبة

الثالثة من تساؤلات الأطفال حيث تكرر أسئلة الأطفال عن سبب موت فلان من الناس، وإلى أين سيذهب بعد ذلك، وقد طرح الفصل مجموعة من الأساليب للإجابة عن أسئلة الطفل عن الموت، ونوَّه إلى أنَّ ظاهرة الموت أكثر الظواهر الإنسانية غموضاً، وأنَّها تثير الكثير من الأحاسيس والمخاوف وتشكِّل تفكير الطفل، وإذا لم تعالج بشكل مباشر وبالوقت المناسب فإنَّها ستترك أثراً سلبياً على شخصيته في المستقبل.

واحتلت الأسئلة الدينية عند الأطفال المرتبة الرابعة وبلغت نسبة تكرارها ١٤,١% حيث يبدأ الطفل بالتساؤل حول الخالق وعن وجوده وكيفية رؤيته، وتأتي إجابات الأهل لتؤكِّد التعاليم الدينية وترسِّخ إيمان الطفل بالخالق.

واحتلت الأسئلة السياسية المرتبة الخامسة حيث بلغت نسبة تكرارها حوالي ٥,٨%، وهذا يدلُّ أن اهتمامات الأطفال السياسية قليلة جداً إلاَّ إذا استدعت الظروف ذلك ووقف الفصل قليلاً عند التنشئة السياسية لما لها من أهمية في الإجابة عن تساؤلات الأطفال السياسية، واعتبرها جزءاً من التنشئة الاجتماعية للطفل وللأسرة دورٌ رئيسيٌ في التنشئة السياسية للطفل، إذ عليها أن تربِّي طفلها في إطار الخصائص العامة والتوجهات الإيديولوجية والسياسية التي يتبناها المجتمع، وأنَّ لإجاباتها عن أسئلة الأطفال السياسية دوراً كبيراً في توسيع آفاق الفكر السياسي عند الطفل ويظهر ذلك جلياً في شخصيته عندما يصبح شاباً.

المراجع

١- أبيض، ملكة – الطفولة المبكرة والجديد في رياض الأطفال – المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت.

٢- إسماعيل، محمد عماد الدين – دليل الوالدين إلى تنشئة الطفل – دار التعلم – الكويت.

٣- إلياس، اسما ومرتضى، سلوى – ٢٠٠٣ – تنمية المفاهيم العلمية في رياض الأطفال – جامعة دمشق – مركز التعليم المفتوح.

٤- بركة، سوزان – ١٩٩٦- التربية الجنسية ومسؤولية الآباء والأمهات – ترجمة محمد ديركي – المنارة – بيروت.

٥- بشناق، رأفت محمد – ٢٠٠١ ـ سيكولوجية الأطفال – دار النفاش – بيروت.

٦- جبري، ماهر ويوسف، محمد – ١٩٩٥ – طفلك يسأل وأنت تجيب – سفير – بيروت.

٧- جركس، جلال – ١٩٩٣ – أسئلة الأطفال – مطابع شركة تريكرومي – مكتبة المحبة – القاهرة.

٨- حركل، أبو المجد – ١٩٩٤- أسئلة طفلك الحرجة لكل سؤال جواب، دار النشر – القاهرة.

٩- الخولي، سناء – ١٩٨٤ – الأسرة والحياة العائلية – دار النهضة العربية – بيروت.

١٠- د. سبوك – ١٩٨٠- مشاكل الآباء في تربية الأبناء – ترجمة منير عامر – الطبعة الثالثة – القومية العربية للدراسات والنشر – بيروت.

١١- د.سبوك – ١٩٩٥- « طفلك يسأل وأنت تجيب» – ترجمة ماهر جبري – محمد يوسف – القاهرة – سفير.

١٢- دويدار، عبد الفتاح محمد – ١٩٩٥ – سيكولوجية السلوك الإنساني – دار النهضة العربية – بيروت.

١٣- زريق، معروف – كيف نربي أبناءنا ونعالج مشاكلهم – دار الفكر – دمشق.

١٤-زهران، حامد عبد السلام ـ ١٩٧٧ ـ سيكولوجية الطفولة والمراهقة – الأنجلو المصرية – القاهرة.

١٥- سيرل بيبي، ١٩٩٤ التربية الجنسية في المجتمع – ترجمة ندى جابر محمد ـ دار البشر ـ القاهرة.

١٦- شجيمي، محمد أيوب – ١٩٩٧- الإرشاد النفسي التربوي الاجتماعي لدى الأطفال – دار الفكر اللبناني – بيروت.

١٧- شحيمي، محمد أيوب – ١٩٩٤- مشاكل الأطفال كيف نفهمها – دار الفكر اللبناني – الطبعة الأولى – بيروت.

١٨- الشربيني، زكريا - صادق، يسريه - ٢٠٠٠- **نمو المفاهيم العلمية للأطفال** - دار الفكر العربي - الطبعة الأولى - القاهرة.

١٩- الشربيني، زكريا وصادق، يسرية، ٢٠٠٠، **نمو المفاهيم العلمية للأطفال** - دار الفكر العربي - القاهرة.

٢٠- الشماس، عيسى ٢٠٠٥ - **التربية الجنسية في الأسرة بين المفهوم والممارسة** - مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس - دمشق.

٢١- علواني، عبد الواحد - ١٩٩٧- **تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة** - دار الفكر - دمشق.

٢٢- عيسوي، عبد الرحمن - ١٩٩٢ - **في الصحة النفسية والعقلية** - دار النهضة العربية - بيروت.

٢٣- القائمي، علي - ١٩٩٨ - **الأسرة وأطفال المدارس** - دار النبلاء - بيروت.

٢٤- قطامي، يوسف - ١٩٩٠- **تفكير الأطفال تطوره وطرق تعليمه** - الأهلية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - عمان.

٢٥- مارجريت دونالد سون - ٢٠٠٢ - **عقول الأطفال** - ترجمة الدكتور عادل عبد الكريم ياسين - دار الرضا للنشر - دمشق.

٢٦- مجلة خطوة - العدد السابع - ص ٢٣ - ٢٠٠١.

٢٧- محمد داوود، عبد الهادي - الباري - ١٩٩٩- **التنشئة السياسية للطفل** - دار الآفاق العربية - القاهرة.

٢٨-مرتضى، سلوى – ٢٠٠٠- **تربية الطفل مشكلات وحلول** – دار الرضا للكمبيوتر – دمشق.

٢٩-مرهج، ريتا – ٢٠٠٢- **أولادنا من الولادة حتى المراهقة** – أكاديميا – بيروت.

٣٠- منصور، علي وعامود، بدر الدين – ١٩٩٨ – **علم نفس الطفل مترجم** – وزارة الثقافة – دمشق.

٣١- النحلاوي، عبد الرحمن – ٢٠٠٤ – **التربية بالحوار** – دار الفكر – دمشق.

٣٢- نعومي، ريتشمان – ١٩٩٢ – **التواصل مع الأطفال** – دار الفكر – بيروت.

٣٣- الهابط، محمد السيد – **التكيف والصحة النفسية** – الكتب الجامعي الحديث – الاسكندرية.

فهرس المحتويات

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠٠٨

عدد الطبع ١٥٠٠ نسخة

أمي ... أريد فسحة من وقتك....
أمي أريد أن أتحاور معك....
أريد أن أجد إجابات لتساؤلات عدة .... تملأ عقلي الصغير
عندما أنام يا أمي أحلم بمن يحدثني .... أحلم بمن يجيب عن تساؤلاتي ولا أجد....
أنت مشغولة عني يا أمي .... مشغولة مشغولة لا تستحقين أن تكوني أمي....
عندما لا تكون في صدرك فسحة من التسامح وتغضبين وتثورين لأنك مرهقة من العمل لا
تستحقين أن تكوني أمي ....
عندما تكون العلاقة بيني وبينك أوامر لا حوار ولا حديث فإنني أبتعد عنك كثيراً يا أمي ....
أبتعد عنك طفلة .... وأبتعد عنك مراهقة .... وأكبر لوحدي بظنوني، وآلامي ومخاوفي
وفرحي .... ويأتي يوم من الأيام وتبحثين عن تلك الفتاة الصغيرة، فتجدينها بعيدة جداً ....
تبحث عمن من يؤنسها، بعيداً عنك....
لا أريد الكثير من وقتك يا أمي فسحة صغيرة لأحكي لك عن مدرستي.... رفيقاتي .... لأجد
إجابات عن أسئلتي
أمي .... لا أريد خبزاً لكي أحيا .... وجدراناً .... ولا أثاثاً منزلياً
أريد عطفاً وحناناً .... أريد اهتماماً .... أريد لمسة حنان
أريد الجلوس في حضنك أريد أن أسمع صوتك ....
لا ألومك يا أمي لا ألوم عصر السرعة الذي أخذ منا أمهاتنا وتركنا لوحدنا نفتش عن إجابات
لأسئلتنا البريئة....

ابنتك



هذه رسالة طفلة إلى أمها تطلب منها أن تحاورها،
وحتى تستطيع الأم أن تحاور طفلتها.

لابد أن ندخل في الحوار ونتعرف خفاياه.

الكاتبة



٢٠٠٨

سعر النسخة داخل القطر ٧٠ ل.س — في الأقطار العربية مايعادل ١٤٠ ل.س